

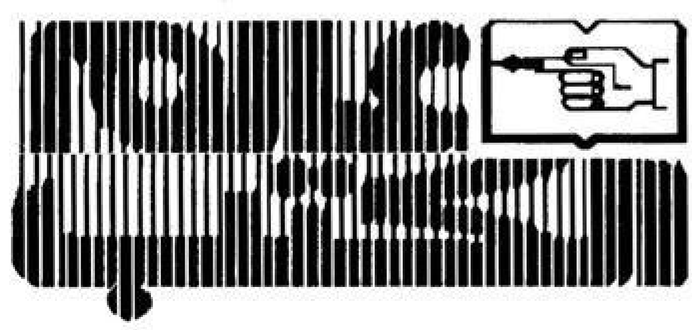
مجلة محكَّمة متخصصة في الكتاب وقضاياه
تصدر عن دار ثقيف للنشر والتأليف
أسست عام ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م

المجلد السابع عشر | العدد الأول | رجب - شعبان ١٤١٦هـ / يناير - فبراير ١٩٩٦م



من محتويات العدد





رئيس التحرير
يحيى محمود بن جنيد
"الساعاتي"

المؤسسان
عبدالعزيز الرفاعي
عبدالرحمن المعمر

مجلة محكَّمة متخصصة في الكتاب وقضاياه
تصدر عن دار ثقيف للنشر والتأليف بالرياض
أسست في شهر رجب عام ١٤٠٠هـ/ مايو ١٩٨٠م

المجلد السابع عشر — العدد الأول — رجب - شعبان ١٤١٦هـ / يناير - فبراير ١٩٩٦م

محتويات العـــدد

دراسات

لغات تكشيف المعلومات واستر جاعها

شكري عبدالسلام العناني
مدرس المكتبات والمعلومات
كلية الآداب - جامعة طنطا

١ - مقدمة

تتأكد أهمية التحليل الموضوعي من منطلق الدور البالغ الأهمية في نظم المعلومات الحديثة، وتلبية حاجات المستفيدين، ومواجهة المآزق التي فرضتها ظاهرة تفجر المعلومات، وتضخم حجم الإنتاج الفكري، وتعدد لغاته، وتباين أشكاله، وتعقد موضوعاته.

ويسود في نظم المعلومات الآلية الاعتماد في التحليل الموضوعي للوثائق أو مدخلات النظام، إما على إحدى اللغات المقيدة المضبوطة مثل خطط التصنيف، وقوائم رءوس الموضوعات والمكانز. أو أن يتم ذلك وفق اللغة الطبيعية للوثائق.

ويعتمد تقييم الأداء في نظم المعلومات على درجة مايحققه من كفاءة في إجابة الاستفسارات أو الطلبات، سواء تطلب ذلك صياغة السؤال أو الاستفسار بلغة مفيدة مضبوطة أو بمصطلحات اللغة الطبيعية المستخدمة في النظام.

وتعرض هذه الدراسة لنظم التكشيف غير التقليدية أو الآلية، سواء التكشيف الحر (تكشيف الكلمات)، أو التكشيف المقيد، أو التكشيف المحافظ على السياق. كما تتعرض الدراسة للغات الاسترجاع، وهي تتراوح مابين اللغة المقيدة (المضبوطة) مثل: خطط التصنيف وقوائم رءوس الموضوعات والمكانز، ثم اللغة الطبيعية التي تعرف أيضًا باللغة الحرة أو المطلقة، ثم اللغة المهجنة، وفي ختام الدراسة مقارنة فيما بين كلٍّ من اللغة المقيدة المضبوطة واللغة الطبيعية.

٢ - تعريفات

اللغة وفقًا لما ذهب إليه ويبستر "Webester"، نظام للاتصال بين الأشخاص، عبر رموز مكتوبة أو صوتية (ملفوظة) vocal، ومعظم لغات نظم المعلومات والتوثيق في الوقت الحاضر مبنية على لغات مكتوبة، ومن المرجح أن يتغير ذلك في المستقبل القريب بسبب التطورات السريعة في وسائل التخزين والاسترجاع السمعية والبصرية كالڤديو ديسك وأقراص سيدروم "CD - ROM" (١).

وتعني لغة المعلومات "Information Language" أية أداة لغوية تستخدم في وصف المعلومات المتخصصة، وتحليل الوثائق تكشيفها، وفي تخزين المعلومات واسترجاعها، وبناء الملفات المصنفة، وتشغيل نظم التوثيق وإدارتها، وهي تشمل بذلك أدوات معينة عامة أو متخصصة مثل: خطط التصنيف، والمكانز، وقوائم المصطلحات المتخصصة nomenclatures، والواصفات، وقوائم رءوس الموضوعات، والكشافات الببليوجرافية وغيرها (٢).

وإذا كان التكشيف كعملية تنطوي على فحص الوثائق بهدف تحليل محتوياتها، وإيجاد المداخل أو الدوال التي تعبر عن هذا المحتوى، فإن لغة التكشيف الموضوعي subject (stL) indexing Language لغة صناعية تستخدم في التعبير عن أسماء الموضوعات «اسم الموضوع جزء غير استطرادي non-discursive من المعلومات» (٣).

ويعرف استرجاع المعلومات بأنه: الاستدعاء المنظم للمعلومات المخزنة منطقيّاً، وفي معناه العام: فإن استرجاع المعلومات لايتطلب بالضرورة استخدام الوسائل التقنية، فالمكتبة التقليدية تعد نظام استرجاع

المعلومات، وكذلك دليل الهاتف، ولكن الاستخدام الحديث لمصطلح استرجاع المعلومات يعني استخدام الوسائل التقنية، خاصة الحاسبات الآلية.

وهناك عدة وظائف تناط بنظام استرجاع المعلومات:

- الحصول على الوثائق الضرورية المطلوبة.
- تمثيل محتويات هذه الوثائق.
- تنظيم المؤشرات indicators التي تسهل عملية المعالجة manipulation.
- تطوير استراتيجيات البحوث العلمية.
- بث نتائج الاسترجاع المادية.

وهكذا يتركز النظام حول النهج الذي يحقق التعرف إلى محتويات مجموعات الوثائق وتمثيلها لصالح المستفيد، ولعل ذلك لايبتعد كثيراً عن معنى الكشاف (٤).

ويشير مصطلح لغة الاسترجاع Retrieval Language إلى مجموعة المصطلحات المنظمة أو التمثيلات للعناصر والمفاهيم في مجموعة من الوثائق، ولما كان مصطلح لغة التكشيف Indexing Lang. مصطلحًا غير محدد nonreductant لأنه لاحاجة إليها مادامت اللغة الطبيعية Natural Language (NL) هي المستخدمة في قاعدة البيانات، ومن ثم فإن كلاً من مصطلحي لغة استرجاع ولغة تكشيف مترادفان، مادامت هناك حاجة إلى استخدام اللغة الاصطناعية Artificial Language في كلا الجانبين: التكشيف وعمليات البحث أو الاسترجاع (٥).

ولأن استرجاع المعلومات Information retrieval (IR) يتضمن عمليات التمثيل والتخزين والوصول إلى عناصر المعلومات أو الوثائق أو بدائلها (٦)؛ فإن الأمر يستلزم الإشارة إلى المصطلحات التي تتوافر في جانب لغات استرجاع المعلومات، وهي: (٧)

- لغة طبيعية Natural Language: وهي اللغة التي نجدها في الوثائق وغيرها، دون أي تعديل عليها.
- لغة الاسترجاع الاصطناعية Artificial Retrieval Language: وهي لغة مبنية، تم تصميمها للاستخدام في نظم الاسترجاع، ومن ثم فمصطلحاتها وبناؤها اصطناعيان.
- مصطلحات اللغة الطبيعية Natural Language vocabulary: قائمة محدودة Finite أو لا محدودة بالكلمات التي توجد في اللغة الطبيعية، دون أي تعديل أو تغيير في شكل الكلمة، إلى جانب عدم تفضيل أو اصطفاء كلمة واحدة لتقوم بتمثيل نفسها وغيرها من الكلمات.
- مصطلحات اللغة الاصطناعية Artificial Language vocabulary: قائمة محدودة أو لامحدودة بالكلمات أو مقابلتها (رقم تصنيف مثلاً) تستخدم اختيارياً selsctively كبديل عن مجموعة من الكلمات المترادفة.

٣ – نظم التكشيف

تم استخدام مجموعة من نظم التكشيف التقليدية لسنوات طويلة، وقد تم في نهاية الأمر التخلي عن هذه النظم التقليدية، إلى نظم غير تقليدية (حديثة) فرضتها مجموعة من المتغيرات والمستجدات تتمثل في تزايد حجم الإنتاج الفكري وتضخمه بمعدلات فائقة، وتعدد الأشكال التي يظهر بها هذا الإنتاج وتنوعها، فضلاً عما واكب ذلك من تعقد حاجات الباحثين، وتزايد أعدادهم، وتنوع تخصصاتهم، وحاجتهم إلى خدمات سريعة ذات كفاءة في الأداء كما أن الباحث – خلافًا لما كان في السابق – أصبح يجدّ في البحث عن وحدات المعلومات (لقيمات المعلومات) المتناثرة هنا وهناك في بطون الكتب، وبين سطور المقالات والدراسات والبحوث، والاعتماد على خدمات ذات فاعلية عالية.

ولمواجهة هذه المتغيرات والحاجات بدأ التفكير الجاد، والبحث في الاعتماد على تقنيات وأساليب ولغات متطورة حديثة تواكب الآمال والتطلعات، التي عززها ظهور الحاسبات الآلية واستخداماتها في مجال المعلومات.

وفيما يلي نتناول بالعرض مجموعة لغات

التكشيف غير التقليدية، وهي:
- التكشيف الحر أو تكشيف الكلمات.
- التكشيف المقيد.
- التكشيف المحافظ على السياق.

١/٣ التكشيف الحر أو تكشيف الكلمات Word indexing

ويتم اعتماداً على الحاسبات الآلية، التي يتهيأ باستخدامها السرعة، والدقة والاتساق، كما لايتطلب - ذلك في غالب الأمر - الاعتماد على قوائم المصطلحات، أو الاستخدام لأشكال معينة من المدخلات، فضلاً عن أنه لايلزم للقيام به الاعتماد على مكشفين لهم مهارات فنية عالية، أو تتوافر لديهم الإحاطة الموضوعية المتعمقة (٨).

وتقود كشافات الكلمات الباحث إلى الكلمات المستخدمة من لدن مؤلف الوثيقة، ويتجلى الفرق بين هذا النمط من الكشافات والكشافات الموضوعية، أن الأخيرة تعدّ مرشداً للموضوعات ذات القيمة التي يتناولها مؤلف الوثيقة، ولكنها لاتستوعب كل المفاهيم والجوانب المختلفة، كما أن الكشافات الموضوعية تعتمد على الاختيار، وعلى المصطلحات المقيدة لتقليل حجم التشتت. في حين أن كشافات الكلمات لاتعتمد على الاختيار، ولا اللغة المقيدة. ويتدرج تحت لغات التكشيف الحر أو تكشيف الكلمات ما يلي:

٣/١/١ الكلمة المفتاحية (الدالة) في السياق **keyword in context (KWIC)**

ويُعزى الفضل في صك اسم كشاف كويك KWIC إلى H.p. Luhn في بحث له بعنوان(٩) Keyword in context index for Technical literature (KWIC index). أما مفهوم التكشيف الدوار permutation indexing فهو أقدم، حيث يعود إلى أكثر من مئة عام، فقد أشار **Crestadoro** إلى مفهوم التكشيف الدوار في كتابه The art of making classification in liberaries الذي نشر في لندن عام ١٨٥٦م (١٠).

ويتم انتقاء الكلمات المفتاحية (١١)، من عنوان المقال أو الوثيقة، أو المستخلص، أو جزء من النص، ويتيح البحث بالكلمات المفتاحية العثور على السياق الذي وردت به هذه الكلمات، بالإضافة إلى الرقم الخاص بالمقال أو الوثيقة.

وتعد هذه الكشافات تطوراً للكشافات التقليدية للكلمة الدالة Catch word، حيث أفرزها استخدام الحاسبات الآلية في إنتاج الكشافات. وقد استخدمت هذه الطريقة بواسطة Crestadoro لتجميع فهارس مكتبة منشستر العامة Manchester Public library خلال القرن التاسع عشر، ولكن قيمته وضحت بعد استخدام الحاسبات وتوظيفها في إنتاجه بواسطة H.P. Luhn (IBM).

وهكذا يعتمد هذا النمط من التكشيف على أن كل كلمة بالعنوان تصبح مدخلاً مثلما يحدث في التكشيف بالكلمة الدالة Catch word، ولكن بدلاً من أن تظهر كلمة المدخل في الجانب الأيسر من الصفحة (بالنسبة للغة الإنجليزية) فإنها تظهر في منتصفها، مع بقية كلمات العنوان الأخرى على أي الجانبين (١٢).

ومن أبرز الأمثلة لهذا النوع من كشافات كويك (KWIC) المنتجة آلياً هو: Chemical titels الذي يُكَشِّف عدة مئات من الدوريات خلال أسابيع قليلة من نشرها، وهناك كشاف آخر يصدر عن شعبة الإيداع بالمكتبة البريطانية British Library Division's Index of Conference Proceedings Received وهي قائمة شهرية تصدر في شكل كشاف كويك بعناوينها.

ويعتمد التكشيف وفق كويك على ثلاثة مبادئ أساسية: أن العناوين بصفة عامة تتضمن الإخبار والإعلام عن محتوى الوثائق، وأن الكلمات التي يتم اشتقاقها من العنوان يمكن أن تستخدم بكفاءة وفاعلية في إرشاد الباحث

إلى مقال أو بحث يتضمن المعلومات المطلوبة، بالإضافة إلى أنه رغم أن معنى الكلمة المفردة يمكن أن يشوبه الغموض، أو العمومية، إلا أن مايحيط بها من كلمات السياق يساعد في تحديدها، وشرح معناها (١٣).

٣/١/٢ الكلمة المفتاحية (المدخل) خارج السياق (كووك)

keyword out of context (KWOC)

نظرًا لأن ترتيب الكلمة (المدخل) في كشافات كويك (KWIC) في غير موضعها، مما يبدو غير مألوف، فقد حدث تطور آخر في هذا النوع من الكشافات، باللجوء إلى تحريك (إرجاع) الكلمة المدخل إلى مكانها الطبيعي في بداية السطر، ثم يتبعها كامل العنوان، وذلك يشبه إلى حد ما طريقة التكشيف بالكلمة الدالة Catch word indexing مع بعض التغيير، حيث يعطي هذا الوضع مظهرًا مألوفًا للكشاف (١٤).

٣/١/٣ الكلمات المفتاحية والسياق (كواك)

Keyword and context (KWAC)

حيث يتم اللجوء في هذا النمط من الكشاف إلى تدعيم عنوان الوثيقة ببعض الكلمات الكشفية بما يهيئ وصفًا موضوعيًا أعمق للمحتويات عما يمكن أن يحدث حال الاقتصار على كلمات العنوان فقط، ومن الطبيعي أن يتم اللجوء في هذا الجانب إلى مكشفين لديهم الدراية بموضوع الوثيقة.

وبرغم تفضيل البعض للكشاف من نمط كواك (KWAC) إلا أن كشافات كووك (KWOC) ما زالت تتمتع بالقبول وسعة الانتشار والذيوع (١٥).

٣/١/٤ الكلمات المفتاحية في التصنيف العشري العالمي

keyword in Univ. Dec. Classif. (KWUC)

ويعتمد هذا الكشاف في ترتيبه على التقسيمات الخاصة بالتصنيف العشري العالمي (Universal Decimal Classification (UDC)) حيث ينتظم الكشاف الأقسام العامة في نظام التصنيف، مع ذكر الكلمات المفتاحية التي وردت في العناوين مرتبة هجائيًا تحت كل قسم.

٣/١/٥ كشاف النصوص **concordance**

هو كشاف لكل الكلمات الواردة في وثيقة أو مجموعة أعمال (في عدة مجلدات) لمؤلف واحد، بينما كشاف KWIC يعدّ كشافًا لنصوص العناوين فقط، ومن ثم فهو يقتصر على كلمات العنوان. ويتم تعريف كشاف النصوص على أنه كشاف مؤلَّف واحد، تجمع معًا في سياقها، وتجيء الكلمات في هذا السياق الذي قد يكون فقرة أو قطعة أو عبارة شبه جملة، أو جملة، أو سطر.

وتتشابه طريقة إعداد كشاف النصوص آليًا مع طريقة إعداد كشاف كويك KWIC والفرق الوحيد بينهما في عدد أو كمية السياقات المستخدمة، حيث يكون السياق في كويك ممثلاً في العناوين التي وردت بها الكلمات المفتاحية، أما في كشاف النصوص فإن السياقات تكون أكثر، بسبب إيراد السياقات المتمثلة في فقرات أو جمل وغيرها (١٦).

وقد قام عدد من الباحثين بإجراء الاختبارات والدراسات المختلفة بشأن الكلمات المفتاحية في العناوين Keyword in titles وفاعليتها في الاسترجاع. ومن بين تلك الدراسات، دراسة مقارنة قام بها لين (Lan: 1964) (١٧) مستخدمًا كشافات العناوين في مجالات مختلفة، حيث اعتمد على كشاف الهندسة Engineering Index كمثال من مجالات التقنيات وأخيرًا مرشد القارئ للإنتاج الفكري بالدوريات Reader's guide to periodical literature كمثال للمجالات العامة. وقد انتهى «لين» في دراسته إلى أنه كلما كان المجال وثيق الصلة بالتقنية، كان العنوان أكثر وفاء لأغراض الاسترجاع.

كما قرر كل من باكستون A.B. Baxton وميدوز A.J. Meadows عام ١٩٧٧م، أن المعلومات التي تحتويها العناوين، تختلف من مجال لآخر، ففي مجالي

الكيمياء والنبات تكون قيمة كلمات العناوين عالية، في حين تنخفض في مجالات أخرى مثل الفلسفة. وفي دراسة أخرى جرت عام ١٩٨٣م لاختيار فاعلية الاسترجاع باستخدام البحث بكلمات العنوان فقط، أوضح هودجز P.R. Hoegs، أن أقل من ٥٠٪ من المقالات ذات العلاقة تم استرجاعها عن طريق الكلمات المفتاحية في العناوين، ولكنه أعرب عن دهشته، حيث وجدت أفضل معدلات الاسترجاع في مجال العلوم الاجتماعية، رغم ما أشار إليه جارفيلد E. Garfield بشأن انخفاض معدلات احتواء العناوين على مايفيد informativeness في مجال الدراسات الإنسانية، استنادًا إلى المشكلات التي تتعرض لكشاف الاستشهاد المرجعية في مجال الفنون والإنسانيات Arts and Hu-manities Citation Index (١٨).

ولعل ماتجدر الإشارة إليه أيضًا في هذا الصدد، مادعا إليه المجتمعون في الملتقى السنوي السادس والعشرين لمعهد التوثيق الأمريكي The 26th Annaul Meeting of the American Docmentation In-stitute الذي عقد في شيكاغو (أكتوبر ١٩٦٣م) بشأن ضرورة قيام الباحثين بتوخي الدقة في اختيار عناوين البحوث، ومن ثم يجب ألا يقل عدد الكلمات ذات القيمة Significant في العنوان عن ست كلمات (١٩).

وبالرغم من هذا النقد الذي يوجه إلى كشافات الكلمات المفتاحية؛ فإن البعض يرى (٢٠) أنها سوف تظل في إطار الاستخدام على نطاق واسع، نظرًا لقلة كلفتها عن نظائرها من الكشافات الموضوعية، والسرعة في إخراجها إلى حيز الوجود، وعدم ارتباطها بموعد معين يؤخر الاستفادة منها. ويمكن الإشارة - إجمالاً - إلى أوجه النقد التي توجه إلى تكشيف الكلمات بصفة عامة فيما يلي (٢١):

- الشك في كفاءة العناوين بمفردها كأداة للتكشيف، والتوصل إلى تحديد كاف لمحتوى الوثيقة وموضوعها، وأن البديل لذلك هو الاعتماد على كامل نص الوثيقة.
- حتى في حالة اللجوء إلى دعم العنوان وتعزيزه بكلمات تشتق من الوثيقة أو المقال، بواسطة مكشفين مهرة أو محررين يقومون بقراءة كامل النص؛ فإن كويك KWIC في هذه الحالة يفقد ميزاته وهي السرعة والمواكبة، وبالتالي قلة التكاليف.
- إن عدم اعتماد كويك KWIC على لغة مقيدة (مضبوطة)، قد يؤدي في كثير من الأحيان إلى تبعثر المصطلحات ذات الموضوع الواحد في أماكن متفرقة من الكشاف نتيجة الترادف، وهذا يستلزم من الباحث القيام بإعداد قائمة بكل الاستخدامات المحتملة من لدن المؤلفين للتعبير عن المصطلحات المرغوبة.
- ذهب المختصون في حل مشكلة تبعثر المصطلحات وانعدام الترابط بينها نتيجة لعدم الاعتماد على لغة مقيدة مذاهب شتى، فقد اقترح كينيدي Kennedy (1962) لمواجهة مشكلة تبعثر المصطلحات اللجوء إلى استخدام الإحالات. واقترح كاميو Campbeu (1963) استخدام إحالة انظر وانظر أيضًا إلى جانب تصنيف الكلمات المفتاحية. ورأى فيشر Fischer (1966) أنه من الصعب استخدام كويك KWIC إذا أدخلت به الإحالات المرجعية، ولكن هذه المشكلة - وفق رأيه - يمكن حلها أو تقليل تبعاتها باستخدام أحجام مختلفة من حروف الطباعة، كما اقترح البعض اللجوء إلى استخدام مكنز - ولكن فيشر عاود معارضته لهذا الرأي - وأنه ليست هناك حاجة لاستخدام المكنز في كشاف كويك KWIC.

وقد ذهب وليش H.H. Wellisch إلى وصف التكشيف بالكلمات المفتاحية بقوله «إنه أسلوب فج Crude غير متقن» كما أن ليذرديل D. Leatherdale

يتفق مع وليش فيما ذهب إليه، ويقرر أن كشافات الكلمات لاتعكس درجة «التحقيق» المطلوبة أو التي نتوقعها (٢٢) ؟.

٣/٢ التكشيف المقيد

يعتمد التكشيف المقيد على اختيار المصطلحات التي سيتم استخدامها في الكشافات بعناية تضمن عدم التشتت وتبعثر الموضوعات ذات الصلة ببعضها تحت عدد من المداخل المتفرقة هنا وهناك في جسم الكشاف. ومن الطبيعي أن يتم الاعتماد على لغة مقيدة مضبوطة أو مكنز لاستقاء الواصفات المطلوبة.

ومن أهم أنماطه:

٣/٢/١ التكشيف المترابط (المتناسق)

Coordinate indexing

ويتم بإدماج مصطلحين أو أكثر من المصطلحات الكشفية المفردة. وله نظامان: نظام الربط المسبق Pre-coordination ونظام الربط اللاحق Post-coordination ويعد التكشيف المتناسق تطورًا طبيعيًا لتطبيقات أساليب البطاقات المثقبة punched-cards في استرجاع المعلومات.

وقد عمد باتن Batten في عام ١٩٤٠ إلى تكشيف الوثائق الكيميائية بهذا الأسلوب. كما أن كالفن موررز Calvin Mooers باشر العمل بطريقة أخرى تعتمد على تمثيل كل وثيقة ببطاقة. ويتم تثليم (ثقب) notched out المصطلحات المستخدمة في تكشيف الوثائق على حواف البطاقة بطريقة عشوائية. وقد قام أيضًا تاوبه Taube باستخدام الأسلوب نفسه بنظام المصطلح الواحد Uniterm system – الذي يعزى إليه الفضل في إيجاده – حيث يتم الحصول على المصطلحات الواحدة مباشرة من النصوص. دون الرجوع إلى لغة مقيدة، إلا أن الصعوبات الدلالية semantic الناجمة عن إدماج كلمتين أو أكثر من الكلمات الحرة، أسفرت عن صعوبات في عملية البحث، وشيئًا فشيئًا زحفت وسائل اللغات المقيدة إلى نظام تاوبه.

ومن الطبيعي أن فكرة تاوبه عن التكشيف الحر بكلمات النص تعطي تكاملاً في المصطلحات، ولكن أسلوب موررز يؤكد أنه ليست جميع كلمات النص صالحة أوتوماتيكيًا كواصفات للمحتوى، ومن ثم يقرر موررز أنه للتغلب على هذه المشكلات والصعوبات الدلالية، فإنه يجب الاعتماد على لغة مقيدة (٢٣).

والأساليب الثلاثة التي سبقت الإشارة إليها يطلق عليها التكشيف بالربط اللاحق post coordinate indexing وهذا يعني أن التنسيق أو الربط اللاحق يتم بواسطة الباحث أثناء البحث، وليس من لدن المكشف أثناء عملية التكشيف. وبمعنى آخر؛ فإن المستفيد أو الباحث يقوم بصياغة استراتيجية البحث عن طريق ربط المصطلحات وفق المنطق البولي * Boolean logic للتعبير عن حاجاته للمعلومات (٢٤).

كما أن المصطلحات المستخدمة في الربط اللاحق – سواء كانت ستكتب على بطاقات أو بطاقات مثقوبة punched card أو على شرائط ممغنطة – يتم استخلاصها أو اختيارها من نصوص اللغة الطبيعية أو من لغة مقيدة (هجائية أو مصنفة) فضلاً عن أن للعلاقات بين المصطلحات أهميتها في عملية البحث، سواء كانت المصطلحات نفسها مربوطة Coordinated عند التكشيف أو حال الاسترجاع (٢٥).

ويتم إجراء التكشيف للمصطلح الواحد باستخدام الحاسب الآلي وفق برنامج خاص، حيث تتم عمليات التجميع والتنظيم، وعرض المداخل مع أرقام الوثائق التي تتصل بها، ثم القيام بطبع الكشاف في شكله النهائي، ويقتصر دور المكشف على القيام بتعيين العبارات والواصفات للمداخل واختيارها. وهكذا يشتمل نظام التكشيف المتناسق أو المترابط على ثلاثة

عناصر أساسية، هي :

(١) الوثائق أو أوعية المعلومات المختلفة التي تختزن أو تحفظ معًا بالتسلسل الذي وردت به في المكتبة أو مركز المعلومات .

(٢) قائمة بالواصفات أو المصطلحات التي تستخدم كمكنز، تسمح بالاستطراد من كلمات الاسترجاع الشخصية إلى المصطلحات المعتمدة المسجلة في القائمة .

(٣) ملف بطاقات المصطلحات الذي يشتمل على بطاقة لكل مصطلح رئيس واحد. وتسجل أرقام الوثائق على هذه البطاقة الموضوعية .

وتتفاعل هذه العناصر الثلاثة لهذا النظام كما يلي :

* عند اختزان أو حفظ الوثائق :

أ - ترميز الوثيقة الجديدة بالرقم المسلسل التالي لرقم الوثيقة التي وردت من قبل مباشرة .

ب - اختيار بطاقات المصطلحات التي تفسر بالوثيقة وتعرف بها بشكل محدد وواضح .

ج - تسجيل رقم الوثيقة على كل بطاقات المصطلحات المختارة .

د - حفظ الوثيقة طبقًا لتسلسلها الرقمي في أماكن الحفظ المخصصة لذلك .

* عند استرجاع الوثائق :

أ - تقرير المصطلحات التي تصف الوثيقة المطلوبة .

ب - إخراج بطاقات المصطلحات التي تتصل بالوثيقة التي تجيب عن الاستفسار المعين .

ج - البحث عن الرقم نفسه الذي يظهر على كل البطاقات .

د - إخراج الوثيقة من مكان حفظها طبقًا للرقم المسلسل المشترك الذي ظهر على كل بطاقات المصطلحات (٢٦) .

وتشير مارثا كورنوج Martha Cornog إلى أنه نظرًا للاعتماد على الكلمات المفتاحية في التكشيف المتناسق كمصطلحات كشفية . ولأن اختيارها يتم بدون قيود، أو وجود نماذج patterns فإن ذلك يقود إلى تكشيف غير متماسك . حيث لايستطيع الباحث في غياب قائمة المصطلحات والإحالات - مثل قوائم رءوس الموضوعات - تحديد الرءوس التي يتم استخدامها، وعلاقاتها (٢٧) .

ويقرر لانكاستر (٢٨) F.W. Lancaster أن لغات الاسترجاع اللاحق post-coordinate retrieval التي ظهرت في الخمسينات في الولايات المتحدة قد تأثرت بالمصطلح الواحد uniterm الذي تغير في نهاية الخمسينات بسبب الاعتماد على لغات مقيدة . وخلال الخمس عشرة سنة الماضية اعتمدت المكانز كوسيلة مقبولة شائعة، ولغة مضبوطة في الاسترجاع اللاحق، وخاصة في النظم المبنية على الحاسبات الآلية .

ويعد أول استخدام حقيقي للمكانز بهدف استرجاع المعلومات بواسطة دوبونت Du Pont (عام ١٩٥٩) للتحكم في اللغات في مجال الكيمياء، والهندسة الكيميائية . وينظر إلى هذا المكنز على أنه أول لغة مقيدة (موسعة) يتم تطويرها للاستخدام في استرجاع المعلومات اللاحق . ومن المحقق أنه يتوافر الآن عدد كبير من تلك الأدوات، يغطي مجالات موضوعية عديدة، ولعل أكثرها شهرة وذيوعًا في العالم نظام مدلرز MEDLARS الذي لم تتطبق به الطرق المعروفة في إعداد المكانز وبنائها، بل تم سلوك نهج مغاير، فاللغة المضبوطة في هذا النظام هي قائمة رءوس الموضوعات الطبية Medical Subject Headings (MESH) التي ظهرت أولاً عام ١٩٦٠م، وكما يدل اسمها (MESH) فهي قائمة رءوس موضوعات تقليدية، ولاتشبه مكانز استرجاع المعلومات تمامًا في بنائها، بالرغم من أنها تقوم مقام المكنز تمامًا في نظام ميدلرز .

ويتميز هذا النظام للتكشيف المترابط (المتناسق) بإنتاجه كشافات سهلة الاستخدام، اقتصادية في كلفتها .

وبرغم هذه الميزات فهناك بعض السلبيات التي يمكن الإشارة إليها إجمالاً فيما يلي :

- مشكلات الترادف .
- تعدد المعاني للمصطلح الواحد .
- تقديم معلومات غير نافعة للباحث في حالة وجود ارتباط ما بصيغة مختلفة بين مصطلحين يجري البحث عنهما مثل : مكتبات المدارس ومدارس المكتبات . مما ينشأ عنه مايعرف باسم التناسق المزيف False coordination .
- يتطلب البحث في الكشافات المخرجة تبعًا لهذا النظام ضم الكلمات، وتعيين الأرقام المشتركة بينها، وهذا ينطوي على صعوبات أثناء إجراء البحث السريع، حيث يمكن أن تغفل بعض الأرقام (٢٩) .

٣/٣ التكشيف المحافظ على السياق (بريسي):

Preserved Context Indexing System (PRECIS)

يعد هذا التكشيف المتسلسل من أنواع التكشيف الحديثة، وقد استخدم في بناء الكشاف الهجائي للببليوجرافية البريطانية (BNB) خلال الفترة من (١٩٥٠ - ١٩٧٠م)، ومنذ عام ١٩٧٠ بدأت الإجراءات تتخذ لاستخدام نمط مختلف يعتمد على مجموعة من الإجراءات العامة بدلاً من قائمة مصطلحات موجودة سلفًا، ويسمى هذا النظام الجديد «نظام التكشيف المحافظ على السياق» ، ويتم العمل على أساس إمكان ادخال المصطلحات في الكشاف في أي وقت بمجرد مقابلتها في الإنتاج الفكري، وبمجرد السماح باستخدام المصطلح، فإن علاقاته بالمصطلحات الأخرى يمكن تناولها بطريقتين مختلفتين تعرفان بالأوعية الجملية والدلالية للنظام (٣٠) .

وهكذا ؛ فإن الكشاف من نمط PRECIS يعد كشافًا ذا مرحلتين تكون فيه المداخل مركبة، وتشتمل تفصيلات الإدخال على خيط (سلسلة) من المفاهيم مكتوبة بنظام مقرر مسبقًا، تربط بواسطة مؤشرات خاصة تعرف بمؤشرات الأدوار (٣١) .

وهناك عدد من الاعتراضات وأوجه النقد التي توجه إلى نظام التكشيف المحافظ على السياق (PRECIS).

إنه يتطلب مجهودًا كبيرًا في مرحلة الإدخال Input stage أكثر مما تتطلبه بعض النظم الأخرى القديمة المألوفة مثل كويك KWIC، و كووك KWOC، بالإضافة إلى أنه من المشكوك فيه أن يثمر هذا الجهد الإضافي الذي يتطلبه نظام بريسي PRECIS عن ميزات محسوسة، وقد أكد فيكري Vickery ذلك مشيرًا إلى أن بناء كووك KWOC يتفوق عليه، فضلاً عن أنه اقتصادي .

كما يرى البعض أن قواعد بريسي وبناء مداخل الكشاف به مناسبة تمامًا لتكشيف الوثائق في مجالات العلوم والتقنية، نظرًا لدقة المصطلحات في تلك المجالات، ووضوح العلاقات بين المصطلحات، وبالتالي فإن نظام بريسي أقل فاعلية عند التطبيق في مجال العلوم الاجتماعية، نظرًا لعدم دقة المصطلحات، ومايشوب العلاقات بين المصطلحات أحيانًا من غموض (٣٢) .

٤ - لغات الاسترجاع

هناك اتصال وثيق بين علم المعلومات والمصطلحات، فكلاهما يتوجهان أساسًا نحو النصوص، كما يوجد في كلا المجالين أعداد من المتخصصين، وبرغم هذا التداخل الموضوعي الواسع بين المجالين؛ فإن كثيرًا من علماء المعلومات لم يبذلوا الجهد الكافي للتعمق في نظريات المصطلحات ومبادئها وإرشاداتها . ويمكن توضيح العلاقة بين المجالين من خلال توضيح أن علم المعلومات يختص أساسًا بأوعية المعلومات والوثائق وهي عبارة عن نصوص موضوعية موجهة subject-oriented texts وهي في الوقت نفسه موضوع لعلم المصطلح (٣٣) .

ويعول علماء المعلومات كثيراً على اللغويين في حل معضلات التوثيق، ولكن آمالهم لم تتحقق على النحو المرجو، نظراً لكون اللغات ليست على مستوى التطور الذي يهيئ أسسًا ثابتة لأنواع النشاطات العلمية التي يضطلع بها علماء المعلومات، فالنظريات اللغوية يعوق تطبيقها وممارستها في مجالات المعلومات أنها تتعلق بصفة أساسية باللغة عامة، بينما تنبني نشاطات المعلومات على لغات خاصة تحكمها قوانين محددة، كما أن جوهر هذه اللغات الخاصة هو المصطلحات التي يعول عليها في (٣٤):

- تنظيم المفاهيم العلمية وترتيبها.
- نقل المعرفة من خلال التعليم والتدريب.
- تحويل المعرفة من لغة إلى أخرى عن طريق لغات وسيطة Mediators.
- تشكيل المعلومات العلمية والمهنية وتكشيفها.
- تخزين المعلومات واسترجاعها (التكشيف، لغات البحث Searching Languages، كما هو مطبق في مكانز التوثيق documentation thesauri).

كما أن معنى أية كلمة في اللغة يتحدد - أساسًا - تبعًا للسياق الذي ترد فيه، أما في اللغة الخاصة Special Lang. فإن المصطلح يشير إلى معنى ومفهوم محدد، ولذا فإن الكلمة (المصطلح) في المكنز تشير إلى مفهوم محدد يصف محتويات الوثيقة المختزنة في نظام المعلومات، فالمعنى أو المفهوم للكلمة المكنزية خاضع للبناء والمحتوى الخاص بنظام المعلومات.

ويمكن الإشارة إلى لغات تكشيف المعلومات واسترجاعها على النحو التالي: نظام اللغة الطبيعية Natural language، ونظام اللغة المقيدة Controlled vocabulary (٣٥). إلى جانب مايعرف باللغة المهجنة Hybrid vocabulary (٣٦).

ومن المعضلات في معالجة المعلومات القيام بتخزين كل المعلومات التي تحتويها الوثائق المختلفة بهدف إجابة استفسارات المستفيدين، واسترجاعها عند الحاجة. ويتطلب النمو المستمر في أعداد الوثائق الاعتماد على نظم محكمة للمعلومات، واختيار أدوات ذات كفاءة لأداء الاختزان والاسترجاع بفعاليات عالية.

ولذا؛ فإن اختيار لغة يتم بها أداء الاسترجاع بالكفاءة المطلوبة هاجس يشغل الاهتمام ويستنفد الجهود من لدن المختصين. والتساؤل الذي لم يحسم حتى الآن، والذي يعتقد أنه سوف يستمر لأمد غير قليل هو: هل يتم استرجاع المعلومات باللغات المقيدة والاستعانة في ذلك بالأدوات الفعالة في إحكام عمليات البحث والاسترجاع؟ أو أن يتم استخدام اللغة الطبيعية للوثائق، أو النصوص الحرة دون إدخال تعديل عليها، أو القيام باللجوء إلى لغة مهجنة، والقيام بجهود تحقق التوافق والتكامل بين أكثر من لغة لزيادة فاعلية البحث والاسترجاع؟

ومن الطبيعي أن يكون لكل اتجاه من تلك التي أشير إليها من المؤيدين والمنافحين الذين تتوافر لديهم قناعات معينة بجدوى ماذهبوا إليه. وفيما يلي نعرض لأنواع هذه اللغات، وأبرز التوجهات في بيان مزاياها أو ضعف جدواها (٣٧).

٤/أ اللغة المقيدة (المضبوطة) Controlled vocabulary

يشير لانكاستر Lancaster إلى أن الاعتماد على اللغة المقيدة يعني القيام باختيار المصطلحات اللازمة للتعبير عن الجانب الموضوعي من مجموعة أو قائمة مصطلحات معدة سلفًا لهذا الغرض. ويتم الاعتماد في بناء مصطلحات اللغة المقيدة على أدوات (ضابطة) مثل: خطط التصنيف وقوائم رءوس الموضوعات التقليدية التي تم استخدامها خلال المئة سنة الأخيرة على الأقل. ويعدّ نظام تاوبه للمصطلح الواحد Taube's Uniterm System، أول نظام ينفصل عن اللغة المقيدة،

ويعتمد على اللغة الطبيعية، ثم كان مجيء المكانز واستخدامها في استرجاع المعلومات، وكانت البداية من خلال مكنز دوبنت DuPont (١٩٥٩م) الذي يعدّ (الجد الأعلى) لجميع المكانز الحالية (٣٨).

وتقرر مجموعة العمل باليونيسيست لتبادل البيانات الببليوجرافية UNISIST Working Group on Bibliographic Data Exchange أن محتوى نص الوثيقة بلغته الطبيعية يخضع لتحليل فكري من أجل تمثيله في لغة تكشيفية أو توثيقية documentary or indexing language تختار وتستخدم في أغراض التكشيف للوثائق (المعلومات) التي يراد تخزينها، وفي إجابة التساؤلات، وأغراض الاسترجاع. ويمكن بالطبع الاعتماد على استخدام اللغة الطبيعية للوثائق، ولكن التجربة أثبتت أن اللغة الطبيعية مقيدة إلى درجة معينة لتحقيق نتائج مرضية في الاسترجاع، وهناك ثلاثة أنواع من هذه اللغات التي يتم استخدامها:

- لغات خطط التصنيف الوجهية Faceted أو الهرمية Hierarchical.
- لغات تستخدم في وصف محتويات الوثيقة عن طريق التنسيق (الربط) Coordination.
- لغات تحتوي على العلاقات الدلالية Semantic بين المصطلحات (٣٩).

وبهدف تحسين المعلومات وتعزيزها عن تلك الأدوات الخاصة بالتحليل الموضوعي المستخدمة في اللغة المقيدة أنشأت اليونسكو غرفة مقاصة Clearing House بمعهد المعلومات العلمية والتقنية والاقتصادية The Institute for Scientific, Technical and Economical Information Instutut Informacji Naukoweg Tecnicznej Ekommiczneji- IINTE) الذي يتولى تجميع المعلومات عن المكانز ومعالجتها وبثها، وخطط التصنيف ونظمها، والكلمات المفتاحية، وقوائم رءوس الموضوعات، التي يتم نشرها في لغات العالم المختلفة، وفي كل مجالات المعرفة، كما يقوم برنامج الأمم المتحدة للتعاون بين المنظمات في مجال نظم المعلومات The United Nations Inter-organization Board for Bibliographic Bullehn of The Clearinghouse Information Systems (IOB) بالإعداد والتنسيق لتجميع وإصدار الببليوجرافية التالية: IOB Bibliography of United Nations thesauri, Classifications Nomenclatures, 1979). التي تشمل أدوات التكشيف والاسترجاع التي يجرى تطبيقها في النشاطات المختلفة للمنظمات التابعة لأسرة الأمم المتحدة (٤٠).

ويمكن أن يطلق على مصطلحات اللغة المقيدة: مصطلحات كشاف أو واصفات، أو رءوس موضوعات، كما قد يطلق عليه على وجه الخطأ الشائع كلمات مفتاحية (٤١).

ويشير فيكري B.C. Vickery إلى أن الهدف الأساسي من تشكيل فريق (مجموعة) بحوث التصنيف Classification Resarch Group (CRG) التي باشرت عقد اجتماعها في لندن منذ ١٩٩٢ كان الحاجة إلى إيجاد تصنيف وجهي Faceted classification يكون ركيزة لاسترجاع المعلومات. ويتساءل فيكري - في هذا الصدد - لماذا لم يتم الاعتماد على إحدى خطط التصنيف المنشورة مثل: تصنيف ديوي العشري أو التصنيف العشري العالمي أو تصنيف مكتبة الكونجرس، أو تصنيف بليس، أو الكولون، ويجيب فيكري عن تساؤله بأن أسبابًا عديدة قادت إلى عدم الرضا والقبول بالاعتماد على تلك الخطط منها: أن معظمها لايقدم تفصيلات مناسبة للتخصصات الجديدة في الموضوعات المعقدة، وبرغم الشمول والتنوع في البعض من هذه الخطط، إلا أنها تظل قاصرة عن تلبية متطلبات بعض المكتبات ومراكز المعلومات ذات الطبيعة الخاصة، كما

أنها لاتعطي في كل الأحوال المصطلحات المدمجة المرنة التي تتطلبها أحياناً رءوس الموضوعات المخصصة، وإذا توافرت في بعضها المرونة؛ فإن هذه المرونة تتم بوضع رموز معقدة طويلة لاداعي لها، ومن ثم كان التفكير في إيجاد خطة تتسم بالتفصيل، والتنوع والمرونة، والبساطة في الاستخدام التي تتطلبها نشاطات تكشيف المعلومات الحديثة (٤٢).

وقد عُرف التصنيف الذي ظهر حديثاً باسم التصنيف الوجهي أو التصنيف التحليلي التركيبي An-alytico- synthetic classification وذلك كما دعاه صاحب فكرته الأساسية رانجاناثان، وقد كانت له نتائج قيمة: أولها: تأثيره على الخطط العامة القديمة، وبصفة خاصة التصنيف العشري العالمي الذي تم توسيع التركيب الوجهي في جداوله في الطبعات الأخيرة، وثانيها: البدء في استخدام الأساليب الوجهية في إيجاد خطط جديدة خاصة في كل من بريطانيا وأوربا بصفة عامة (٤٣).

٤/١/١ خطط التصنيف

يمكن تحديد الجوانب التي تستخدم فيها خطط التصنيف كالتالي (٤٤):

- فلسفية: من أجل تعميق الرؤية أو ترتيب حصيلة المعرفة.
- علمية: لمعالجة البيانات أو تنظيم المعلومات العلمية.
- توثيقية: لاسترجاع المعلومات الموثقة.
- تخزينية: لاختزان الأشياء objects أو البيانات (قد تكون وثائق أو بيانات مخزنة من أجل استرجاعها).

ويشير هيلموت فيلبر Helmut Felber (٤٥) إلى أن فيستر E. Fuster مؤسس النظرية العامة للمصطلحات General Theory of Terminology يميز بين نوعين من التصنيف: تصنيف المفهوم concepts، والتصنيف الموضوعي Subject. الذي ورد في بحثه الذي نشر عام ١٩٧١ بعنوان Begriffs-und Themaklaficationc أي تصنيف concept and subject classification الموضوع والمفهوم، والذي قرر فيه أيضاً أن التصنيف العشري العالمي UDC كتصنيف موضوعي، تدخل فيه بعض أجزاء التصنيف بالمفهوم، ويمكن لذلك أن يخدم كنظام لترتيب المفاهيم في اللغات المصنفة المتخصصة، ويكون ذلك في ظروف معينة. وأوضح فيستر أنه في المستقبل القريب ستكون التصنيفات العالمية من نمط التصنيف العشري العالمي ستكون مطلوبة كأدوات عامة للترتيب، كما أن المكانز متعددة اللغات سوف يعول عليها من أجل نظم المعلومات العالمية، حيث يتطلب الاتصال العالمي مثل هذه النظم المصنفة المتخصصة متعددة اللغات.

ولعل ماذهب إليه بويسوفا N.D. Boisova يؤكد ذلك حيث يقرر: أن التصنيف العشري العالمي يعدّ لغة عالمية لاسترجاع المعلومات حيث يستخدم في أكثر من ٥٠ دولة في العالم (٤٦).

وفي المؤتمر العالمي الثالث حول بحوث التصنيف The Third International Classification Research الذي عقد في بومباي (١٩٧٥م) اعترف عدد من الخبراء به أن التصنيف العشري العالمي يعد أفضل الخطط وأكثرها مناسبة لنظم الاسترجاع الآلية، وكان من بين المتحمسين لذلك: R. Freeman, P. Atherton, K. Fill, H. Arntz, G.A. Lloyed, M. Rigby وآخرون.

وإذا كانت العملية الأساسية في استرجاع المعلومات هي تعيين الموضوع؛ فإن التصنيف يضطلع بهذه المهمة في المقام الأول، ومن ثم فإن «خطط التصنيف» تيسر استمداد المصطلحات، ورسم خريطة المعرفة، وربط الموضوعات ببعضها. ولابد من الإشارة هنا إلى أن خطط التصنيف العامة من النمط التقليدي لاتصلح لهذه المهمة، لأنها تقتصر على علاقة واحدة هي علاقة العام بالخاص، بينما المعرفة الحديثة بما تضمه من موضوعات بالغة التعقيد والتشابك تضم عناصر متعددة، والتصنيف الوحيد القادر على هذا هو التصنيف المتعدد الأوجه،

والذي يمكن أن يكمله كشاف الفبائي يجيب عن كل الأسئلة ويرضي جميع الاتجاهات (٤٧).

ويشير تشارلز ديفيز (٤٨) Charles A. Davis إلى أن خطط التصنيف مثل: تصنيف ديوي العشري DDC وتصنيف مكتبة الكونجرس LC وهما الأكثر شيوعًا في أمريكا لايعول عليها في التكشيف الموضوعي. ومع ذلك؛ فإن تجارب عديدة في أوربا وعلى الأخص في بريطانيا - قد تمت للقيام بالتحليل الموضوعي والتكشيف اعتماداً على بعض خطط التصنيف مثل التصنيف العشري العالمي UDC وتصنيف الكولون CC الذي طوره العالم الهندي رانجاناثان، وبرغم ذلك فقد أجريت حديثًا (١٩٨٤ - ١٩٨٥) دراسة تحت رعاية Council on Library, OCLC Resources بهدف الكشف عن فاعلية ديوي العشري (DDC) كأداة للبحث للمداخل الموضوعية عبر الخط المباشر، وقد أسفرت الدراسة عن أن إدماج خطة التصنيف في الفهرس عبر الخط المباشر يمكن أن يعزز الاستخدام الموضوعي لدرجة كبيرة تفوق ما يمكن تحصيله باستخدام المداخل الهجائية المنفردة. كما كشفت دراسة أخرى قام بها أرمشير Armchair بهدف دراسة احتمالات الاعتماد على نظام تصنيف مكتبة الكونجرس Library of Congress Classification System للاستخدام في أغراض الاسترجاع عبر الخط المباشر، وقد أسفرت الدراسة عن جدوى ذلك. ولعل ماتجدر الإشارة إليه أنه في حالات كثيرة، يمكن أن يكون استخدام كل من تصنيف ديوي العشري وتصنيف مكتبة الكونجرس معًا سببًا في إحراز نتائج طيبة، مادام كل منهما يغطي الثغرات التي توجد لدى الآخر (٤٩).

وقد جرت مناقشة بعض المشكلات المتعلقة بالتصنيف العشري العالمي (UDC) وإمكان تطبيقه في نظم الاسترجاع، وذلك في البحوث المتقدمة لحلقة البحث التي عقدت في سبتمبر ١٩٧٧ بمدريد عن حاضر التصنيف العشري Presente Y Futiro de La CDU بالإضافة إلى الندوة العالمية التي سبقت هذه الحلقة، والتي عقدت في مدينة Hrceg Novi اليوغسلافية تحت عنوان (بعض الملاحظات التي تتعلق بالفعاليات المقارنة لكل من التصنيف العشري العالمي، ولغات الواصفات) التي عقدت في ٢٨ يونيو - ١ يوليو ١٩٧١م. وقد أشارت بعض البحوث المقدمة إلى تلك الندوة العالمية إلى عدد من التجارب التي أجريت لدراسة كفاءة التصنيف العشري العالمي عن عدد من الملاحظات المتباينة، أن تلك التجارب قد تم الانتهاء منها مابين عامي ١٩٧٥ - ١٩٨٠م وفيما بعد ذلك حدثت تطورات واسعة في لغات الواصفات، كما أن بعض أقسام التصنيف العشري العالمي، قد تغيرت بنيتها إلى حدٍّ كبير مثل: (٥١: الرياضيات، ٥٢ الفلك... وغيرها)، علاوة على أن بعض الأخطاء المنهجية حدثت في إطار إجراء هذه التجارب، ولذا فمن المفيد إجراء تجارب جديدة موسعة، يتم التخطيط لها بعناية، من أجل مقارنة الوضع الحالي للتصنيف العشري العالمي وأحد المكانز المناسبة المحكمة في العلاقات الهرمية والارتباطية بين الواصفات (٥٠).

وبرغم أن عدداً كبيراً من مراكز المعلومات قد تخلى عن التصنيف العشري العالمي، إلى استخدام المكانز وقوائم الكلمات المفتاحية في تكشيف الوثائق واسترجاعها، فإن الانتشار الواسع للتصنيف العشري العالمي، واستخدامه في (حوالي ٢٣ لغة) يعد ميزة كبيرة لهذا التصنيف، الأمر الذي يبدو مهمّاً في التقريب بين بناء التصنيف العشري العالمي ولغات الواصفات، ومن ثم إيجاد كشافات التصنيف العشري العالمي في شكل مكنزي تأسيسًا على بعض التجارب لهذا الغرض

كـتـجـربـة أو نجـريان (O. Ungarian (Berlin, 1966 وتجـربة لـورفـيـفـر (G. Lorvevre (Brussels, 1974 وكـذلك تجـربـة هاينـنسل D' Haenensel (٥١). ويشـيـر الجـتـراوت دالبـرج Ingetraut Dahlberg في مـقـال افتتاحي (٥٢) إلى أن دافيد باودن David Bawden يقرر أنه في المستقبل سوف ينتشر استخدام المكانز الآلية. أو المخزّنة في الحاسب الآلي، من منطلق أن ذلك يعد أمراً ضـرورياً من أجل كـفـاءة الأداء في نظم المعلومـات، خاصة مع النمو المتزايد في عـمليات البحث من لدن المستفيدين، ويرى أن ذلك الأمر يسري أيضًا بالنسبة لنظـم التصنيف مـادام المستفيد أو الباحث في حاجة إلى أن يجد مـايبـحث عنه إما على الرفوف أو على الشـاشـة، ومـايتعلق بمجاله. وعلى علمـاء التصنيف Classification أن يأخـذوا ذلك في الحـسـبـان، وأن يفكروا في إيجاد الطرق المثلى لإرشاد المسـتـفـيد دون إرهاقه بحروف غريبة، وأرقام مدمجة، تمشيًا مع مبدأ الفقرة الرابعة من قانون رانجاناثان (وفِّر وقت القارئ).

وهكذا فـمن المحقق أن لخطط التـصنيف مميزات عديدة في معضلات ومشكلات المترادفات عن طريق الكشـاف النسـبي Relative index الخـاص بالخطة، مـادام الكشـاف يعـرض المتـرادفـات، ويثـبت الرقم المناسب لهـا، كـمـا أن المشكلات الدلالية يمكن حلهـا كـذلك عن طريق تتبع المعاني المتـعـددة للمـصطلح الواحد بالكشاف النسبي أيضًا، فضلاً عن إن استقاء الرمز من خطط التصنيف في أعمال التكشيف يسهم في التـغلب على المشكلات التي تبـرز في عـمليـة الاختـزان والاسـتـرجـاع، كـمـا أن اسـتـخـدام خطط التـصنيف يخـفف من وطأة المشكلات الناجـمـة عن استخدام المصطلحات المستقاة من اللغة الطبيعية (٥٣).

٤/١/٢ قوائم رءوس الموضوعات

تعمل نظم استرجاع المعلومات الحديثة على تحقيق التكامل فيما بين التصنيف ورءوس الموضوعات بهدف وضع كل طرق الوصـول الممكنة للمـوضـوع أمـام المستفيد، ونلاحظ ذلك في الأدلة الموضوعية الهجائية لنظم التـصنيف والفـهـارس المصنفـة، والأدلة المصنفة لقوائم رءوس الموضوعـات أو الواصفـات، والفـهـارس الموضوعية الهجائية (٥٤).

ويشير لانكاستر F.W. Lancaster إلى أن عـملية تحليل المفاهيم (أو تحليل المحتوى) للوثيقة، ثم ترجمة هذا التـحليل إلى لغـة خاصة، هاتين العمليتين لايمكن الفـصل بينهـمـا، وللقـيـام بعـمليـة تحليل المفاهيم يلزم المكشف الفـهـم لما تدور حـوله الوثيـقـة، ومـجـالـهـا الموضوعي، ومايهم المستفيد من محتوياتها، ثم تسجيل هذا التحليل للمفاهيم، حيث تكون الخطوة التالية في عـمليـة التكشـيف هي ترجـمـة هذه المفـاهيم إلى لغـة تكشـيـف indexing language وفي مـعـظم النظم، تسـتـخـدم لذلك اللغـات المقيـدة. حيث تخزن الوثائق بأحد أشكال التخزين، بينما تودع التسجيلات الكشفية في قاعدة معلومات أخرى، حيث يتم تنظيمها بطريقة مناسـبـة، بما يتـيـح البـحث فـيـهـا بأحـد أنماط الطلب الموضوعـيـة. وللحصول على مخرجات النظام؛ فإن الأمر يستلزم القيام بعمليتين متشابهتين لما يحدث في الإدخال، حيث يتم وضع استـراتيجية بحث Search strategy تتـضـمـن أيضًـا عـمليـتي تحليل المفـاهيم وترجمتها، ويشمل ذلك تحليل الطلب لتحديد حاجات البـاحث وأهدافـه، ومن ثـم يتم ترجـمـة هذا إلى لغـة النظام، حيث يطلق على (عملية تحليل مفاهيم الطلب) ترجمته إلى لغة النظام (٥٥).

ويشير دليل اليونيسيست UNISIST للواصفات في مجال معالجة المعلومات الذي قامت بإعداده مجموعة العمل على تبادل البيـانات البـبليـوجرافـيـة Working Group on Bibliographic Data Interchange

أن معظم المكتبات والهيئات التي تستخدم قوائم رءوس الموضوعات أو مصطلحات التكشيف، تنشئ القوائم الخاصة بها وفقًا لحاجاتها ومتطلبات نشاطاتها، ولعل أكثر رءوس الموضوعات شهرة في العالم هي قائمة رءوس موضوعات مكتبة الكونجرس LC. Subject Headings حيث يجرى استخدامها على نطاق واسع في البلاد الناطقة بالإنجليزية في المكتبات والببليوجرافيات الوطنية، وقد تم ترجمتها إلى الفرنسية (لكي تستخدم في كندا) وإلى الإسبانية (ليجرى استخدامها في بلاد أمريكا اللاتينية) (٥٦).

وتعدّ قائمة جمعية المكتبات الأمريكية لرءوس الموضوعات، أولى القوائم الصادرة في مجال التحليل الموضوعي وتلاها صدور قائمة مكتبة الكونجرس لرءوس الموضوعات.

وقد قام سيرز Sears بإصدار قائمة لرءوس الموضوعات لخدمة حاجات المكتبات الصغيرة أساسًا، نظرًا للشمول والتفصيل في قائمة مكتبة الكونجرس، وتستخدم قائمة سيرز على نطاق واسع، كما تعددت طبعاتها. وهناك مجموعة أخرى من القوائم محدودة الاستخدام والانتشار أنشأتها بعض المكتبات المتخصصة لخدمة أغراضها أو في مجالات موضوعية متخصصة (٥٧).

ويشير ديفيز Charles H. Davis إلى التشابه بين قوائم رءوس الموضوعات والمكانز في أن كليهما يتكون عادة من مصطلحات مركبة هجائيًا، وإحالات، وملاحظات تراعى عند التكشيف أو البحث في مجموعة من الوثائق، ويستخدم بعض اختصاصيي التوثيق - بالتبادل - مصطلحات: قائمة استناد author-ity list وقائمة رءوس موضوعات، ومكنز. ويتجلى الفرق بينها في أن قائمة رءوس الموضوعات التقليدية مثل سيرز، والكونجرس تهدف - أساسًا إلى خدمة كافة مجالات المعرفة البشرية، في حين أن معظم المكانز الحديثة - إن لم تكن جميعًا - تتعلق بمجال محدود، علاوة على أن إعداد المكانز يعتمد بصفة أساسية على تعيين واستقاء sorting out المترادفات والألفاظ المتجانسة homography التي ترد في نصوص الوثائق التي يجرى تكشيفها أكثر من محاولة الحصول على المفاهيم، في حين أن قوائم رءوس الموضوعات التقليدية تبنى على أسس فلسفية. ومن جانب آخر؛ فإن تطوير المكانز يجرى بطريقة تخليقية (استقرائية) inductive أي كعملية براجماتية (٥٨).

٤/٣ اللغة الطبيعية (الحرة / المطلقة)

Natural (uncontrolled) Language

يشير لانكاستر Lancaster إلى أن اللغة الطبيعية - كما يدل اسمها - لاتنطوي على أية قيود لغوية، أو مفردات معينة، أو مصطلحات تُفرض على المكشف أثناء عملية التكشيف، أو المستفيد أثناء عملية البحث، فالمكشف يستخدم أي مصطلح يشعر أنه يعبر عن المحتوى الموضوعي للوثيقة التي يتناولها، ومستخدم النظام (المستفيد) بإمكانه استخدام أي مصطلح يحس أنه يعبر عن المعلومات أو الوثائق التي يحتاجها (٥٩).

كما يرى البعض (٦٠) أن المصطلحات التي لا تنتمي إلى اللغة المقيدة (المضبوطة)، يطلق عليها مصطلحات النص الحر Free Text Terms أو مصطلحات اللغة الطبيعية Natural Language Terms ، وبعد ذلك قد يطلق عليها أحيانًا كلمات مفتاحية Keywords .

ويستخدم تعبير «النص الحر» كذلك كصفة لنمط البحث Free-text search، أي البحث الذي يمكن القيام به دون الاضطرار إلى القيام بترجمة المفردات التي يستخدمها الباحث إلى مفردات مستخدمة في نظام معين. كما أن البحث بالنص الحر يتضمن - على أية حال - قليلاً من تقييد المفردات الذي قد يُفرض على مستخدم النظام، وعلى سبيل المثال، فإن المستفيدين

يستخدمون في استراتيجية البحث أشكالاً متعددة في ترتيب الكلمات، فهم يلجأون إلى استخدام «المنطق البولي» ومع الارتقاء في مستوى البحث يتم استخدام المصطلحات ذات العلاقة التي تتولد أوتوماتيكياً (٦١).

ويُعزى ظهور البحث باللغة الطبيعية في كامل النص إلى ظهور الحاسبات الآلية، واستخدامِها في مجال استرجاع المعلومات، حيث تم تصميم النظم ذات الكفاءة والفاعلية في بحث النصوص، والمستخلصات، أو جزء من نص الوثيقة وقد وجدت هذه النظم - في بداية الأمر - في حقل القانون - منذ بواكير الستينات (٦٢).

ويعرف النظام الذي يختزن ويقوم بالبحث في النص الكامل للوثيقة أو مجموعة الوثائق بنظام الاسترجاع باللغة الطبيعية Natural Language Retrieval System، وقد يشار إليه - في بعض الأحيان - بنظام استرجاع النص الحر Free-Texe Retrieval System أو نظام استرجاع كامل النص Full-Text Retrieval System، وفي هذا النظام يتم البحث عادة عن طريق الربط أو الدمج المنطقي للكلمات الواردة في النص، بالطريقة نفسها التي تستخدم في البحث - عن طريق الربط أو الدمج المنطقي - للمصطلحات الكشفية في نظم اللغات المقيدة (٦٣).

واللغة الطبيعية بقوتها، وغناها، ومرونتها، وتعدد جوانبها، وغموضها، وخصائصها العجيبة المثيرة للتساؤل، كانت مثاراً للاهتمام منذ عهود طويلة، قبل بزوغ عصر الحاسب الآلي. وقد استخدمت الحاسبات الآلية - كآلات أوتوماتيكية تقوم بالمعالجة البارعة - في مجال معالجة اللغة الطبيعية Natural Language processing (NLP) منذ عهدها المبكر وقدومها في الخمسينات (٦٤).

وتعتمد معالجة اللغة الطبيعية NLP على تطور برامج الحاسبات الآلية التي تستطيع تحليل اللغة الطبيعية، كما أن معالجة اللغة الطبيعية تؤدي دوراً أساسياً في كلٍّ من التخزين والاسترجاع لكتل المعلومات الكبيرة. ففي الاسترجاع: تقدم برامج معالجة اللغة الطبيعية إمكان إيجاد علاقات ميسرة مرنة يستطيع الباحث أو المستفيد بموجبها صياغة الاستفسارات المعقدة نسبياً دون الاعتماد على لغة استرجاع معقدة، وبالنسبة للتخزين؛ فإن معالجة اللغة الطبيعية تقدم احتمالات بناء كتل ضخمة من المعلومات النصية Textual من أجل تيسير استرجاع الحقائق المفردة، وتجميع الإحصاءات، وإعداد الملخصات summaries (٦٥).

ويذهب بعض الباحثين إلى تقسيم مراحل النص الحر Free texe إلى ثلاث مراحل: (٦٦)

- بدأت الأولى منها في القرن الماضي مع تزايد الإقبال على التكشيف بمصطلح العنوان titel term، حيث قاد هذا التكشيف بمصطلح العنوان والكلمة الدالة Catchword، إلى التكشيف الحديث بالكلمة المفتاحية Keyword، واستخدامه في النص الحر.

وكانت السيطرة - في القرن التاسع عشر - في مجال اللغات المقيدة متمثلة في خطط التصنيف، التي كانت تستخدم في تنظيم التسجيلات الببليوجرافية وترتيبها في الفهارس المصنفة.

ومع النمو والتزايد في حجم مجموعات المكتبات، بدأت شكاوى المستفيدين من رداءة الاستدعاء، الأمر الذي أدى إلى اللجوء لاستخدام مفردات غير مقيدة يتم استقاؤها من العناوين، في حين أن استخدام الكلمات الدالة في مداخل الكشافات أو الفهارس يعد أقدم من ذلك، وأن تفضيله لتحسين الاستدعاء - بعد ماظهر من عدم كفاءة الفهارس المصنفة - لم يتضح حتى منتصف القرن التاسع عشر، حين قام أحد الرواد المناصرين للتكشيف بمصطلح العنوان وهو سامسون لو Samson low بنشر كشاف British Catalogue of Book عام ١٩٥٤م،

وقد كتب «أنه من المؤمل باتباع تعريف المؤلفين لكتبهم وتهيئة معجم بألفاظ العناوين concordance of titels أن نستثمر ذلك في تيسير سبل إيجاد كتاب معين نبحث عنه، أو العثور على مانبحث عنه من كتب في مجال ما». إلا أن تسمية التكشيف بكلمات العنوان title-word indexing يعود الفضل فيها إلى أحد مساعدي «سامسون لو» ويدعى كريستادور Crestadoro الذي قام بإدخال الكتب تحت أحد الكلمات المميزة في عناوينها، وذلك في فهرسه المعروف باسم Catalogue of Book in the Manchester Free Library.

- وقد بدأت المرحلة الثانية للنص الحر مع قدوم الحاسب الآلي، وما بشَّر به من سرعة وفاعلية في مجال التكشيف المشتق Derived. ففي عام ١٩٥٩م قدم هانز بيترلون Hans Peter Luhn التكشيف بالكلمات المفتاحية في السياق KWIC في شكل آلي كمثال للتكشيف المشتق (حيث تم حل الغموض المحتمل للكلمات غير المقيدة بعرضها في السياق). ومع ظهور كشافات KWIC تم إجراء تجارب كرانفيلد (بإنجلترا) (٦٧) Cranfield, England.
- وفي منتصف السبعينات بدأت المرحلة الثالثة، حيث نشرت باربارا تشارتون Barbara Charton بحثًا في صفحة ونصف بمجلة The Journal of Chemical Information and Computer Sciences وذلك في عام ١٩٦٧م، بدأته بالسؤال التالي (هل اللغة المقيدة ضرورية؟) وقد عرضت به لتجربتها حول البحث في المستخلصات الكيميائية Chemical Abstract (CA) يدوياً لاسترجاع المواد عن موضوع تحليل العلاقات المتبادلة correlation analysis مستخدمة الكلمات المفتاحية من (CA keyword index)، وهي لغة غير مقيدة مبنية على مداخل مختارة من عناوين أو نصوص الوثائق، وكانت النتيجة أن ٥٠٪ من الوثائق التي عثرت عليها بالبحث اليدوي، لم تستطع الوصول إليها باستخدام كشاف الكلمات المفتاحية (٦٨).

وتشير بعض الدراسات إلى أن نظم تخزين النص الكامل واسترجاعه كانت تستخدم منذ وقت بعيد، خاصة في مجال القانون، في «معهد القانون الصحي التابع لجامعة بتسبرغ»، الذي بدأ في عام ١٩٦٠م بوضع تشريعات ولاية بنسلفانيا في شكل مقروء آلياً. وبعد نجاح هذا النظام تبنت وزارة الدفاع الأمريكية نظامًا مشابهًا سمي Legal Information Through Electronics (LITE) كما عمدت بعض بنوك المعلومات إلى التوجه نحو التخزين باللغة الطبيعية أو النص الكامل نتيجة لنشر كشافات ومستخلصات المجلات في مجال العلوم والتقنية. وقد عكف فريق من المكتبة الطبية الأمريكية على إنجاز مشروع لتطوير نظام استرجاع باللغة الطبيعية عرف باسم (ANNOD)، وهناك أيضًا بنك معلومات التهابات الكبد Hepatitus Knowledge Base الذي تأكد نجاحه إلى حدٍّ كبير، كما تقدم شبكة معلومات ديالوج DIALOG النص الكامل لمقالات من أربعين مجلة ذات اهتمامات عامة، وأكثر من ثمانين مطبوعة تجارية (٦٩).

٣/٤ اللغة المهجنة Haybrid Vocabulary

وهي اللغة التي تجمع معًا اللغة المقيدة مع اللغة الطبيعية وهي على نحو نموذجي لغة مقيدة عريضة نسبياً، تشتمل - ربما - على عدة مئات من المصطلحات، توفر نوعًا من البناء البالغ التفوق، ويتم تكشيف الوثائق بمصطلح واحد أو أكثر من هذه الواصفات العريضة، وأيضا بمصطلحات اللغة الطبيعية المستخرجة من العنوان أو النص أو من كليهما. وتهيئ مصطلحات اللغة الطبيعية «الخصوصية» Specifity في البحث، بينما تحقق المصطلحات المقيدة العريضة البحث الشامل، وتقدم

السياق لمصطلحات اللغة الطبيعية . . . إن الربط أو الدمج بين : لغة مقيدة محدودة ولغة طبيعية غير مقيدة واستخدامهما معًا، يقدم إمكانات استرجاع قوي، وقد تأكد ذلك، وظهر في عدد من التطبيقات والتجارب (٧٠).

ويشير روبرت نيهوف Robert Niehoff (٧١) إلى أن استخدام اللغة المقيدة في بيئة البحث في هذه الأيام أمر لايمكن تجاهله، كما أن الدراسات تشير إلى تزايد أعداد عمليات البحث التي يستخدم فيها كلٌ من مصطلحات اللغة المقيدة، والنص الحر . . وبينما يتم إجراء البحث أحيانًا بلغة واحدة منهما إلا أن الباحثين يفضلون - إلى حدٍّ كبير الآن - إدماج كلٍّ من اللغة المقيدة والنص الحر في عمليات البحث.

وقد تعززت فكرة البحث باللغة المقيدة والنص الحر معًا، أعلى معدلات الأداء، في عام ١٩٧٨م بواسطة هينزلر Henzler في ألمانيا الذي قام بإعداد دراسة (٧٢)، خلص منها إلى أن البحث بكلٍّ من اللغة المقيدة والنص الحر على انفراد أمر ممكن حيث يصلح أحدهما بديلاً عن الآخر، إلا أنه من الأفضل استخدامهما معًا. وفي الثمانينات أجريت دراستان مشابهتان لدراسة هينزلر في الولايات المتحدة الأمريكية أحدهما بواسطة نيوتن، وماركي، وأثرتون(٧٣) Newton, Markey, Atherton وقد أسفرت عن أن الاسترجاع بالنص الحر أعطى نتائج أفضل في الاستدعاء، وأقل في التحقيق بالنسبة للاسترجاع باللغة المقيدة، وأجريت الدراسة (الأمريكية) الأخرى بواسطة ماري كالكنز(٧٤) Mary. L calkins على قاعدتي معلومات COMPENDEX و ENVIROLINE وقد نصحت كالكنز الباحث الذي يتطلع إلى مصطلحات وثيقة الصلة أن يستخدم مصطلحات اللغة المقيدة كما أنها لاحظت في دراستها مايجعلها لا تميل مع الفرضية القائلة إن استراتيجية البحث بالنص الحر تسترجع كل المعلومات الموثوقة، وأن ذلك لايتم فقط إلا في حالة اللجوء إلى الدمج بين كلٍّ من مصطلحات اللغة المقيدة والطبيعية (الحرة)، وقد برهنت دراسة كالكنز كذلك على أن البحث باللغة المقيدة أسرع، وأقل تكلفة حيث تشير الأرقام إلى ٤,٥ دقيقة و ٥,٠٠ جنيهات إسترليني في مقابل ٢١ دقيقة، و ٢٣,٠٠ جنيهًا إسترليني بالنسبة للغة الطبيعية (٧٥).

٥ - اللغة المقيدة (المضبوطة) في مقابل اللغة الطبيعية (الحرة):

يبدو أن قضية المفاضلة بين كل من اللغة المقيدة (المضبوطة) واللغة الطبيعية (الحرة) تستغرق جهود علماء ومتخصصين وباحثين كثيرين، فلكل منهما فريق يناصره ويتحمس له، وبين هذا وذاك فريق ثالث، تنطلق نظرته من محاولة التوفيق والجمع في الاستخدام بين كلٍّ من اللغتين، للخروج بفعاليات ونتائج أفضل (حسب رأيهم) باستخدام لغة ثالثة هي اللغة المهجنة. ويتضح من الدراسات المختلفة في هذا الصدد أنه لم يتم التوصل إلى نتائج حاسمة بشأن هذه القضية، ويبدو أن الأمر قائم حتى الآن - ولسنوات أخرى قادمة - دون إحراز تفوق من لدن أحد الفرق، يمكن أن يسود اتجاه ما على حساب الآخر، ويتم حسم القضية كلية. . . مادام أن لكل لغة مميزاتها ومحاسنها، وبعض المآخذ عليها أيضًا، كما سيتضح من الاستعراض التالي:

أشارت الجمعية الألمانية للتصنيف The German Society for classification إلى تفوق اللغة المقيدة (المضبوطة) على استخدام اللغة الطبيعية (النص الحر F.T.)، حيث أظهرت هذه الأخيرة مستويات هابطة في دقة البحث، كما أن استخداماتها العملية، وإجراء التطبيقات مكلفة، فضلاً عن النسبة العالية من النتائج غير الوثيقة الصلة بموضوع البحث، والتي يستلزم تتبعها

المرة تلو الأخرى، إلى جانب نسبة (الإغفال) في الاستجابة أثناء البحث بصفة مستمرة، ومن ثم فإن البحث باللغة الطبيعية قد فشل إلى حدٍّ بعيد في تحقيق الغرض الذي تم إيجاده من أجله (٧٦).

كما أن استبدال اللغة المطولة المعقدة لكامل نص الوثيقة بواصف مكثف Condensed - أي مفهوم يكون جزءًا من لغة مقيدة - يقدم المعلومات في نمط موحد، قد لايتوافر في اللغة الطبيعية (نص الوثيقة)، برغم أن البحث في النص الكامل قد أثبت كفاءته في ظروف أو حالات معينة فقط مثل النصوص القانونية (٧٧).

ويؤيد ذلك ماذهبت إليه آن بترنيك Anne B. Pit-ernick حيث ذكرت أن اللغة المقيدة، تكون مجدية في سبيل تحديد أدق في البحث، وبرغم ذلك؛ فإن هناك بعض حالات تتطلب استخدام مصطلحات إضافية لزيادة نسبة الاستدعاء للتعبير عن مفاهيم غير ممثلة في المصطلحات المقيدة، ومن هنا أو في مثل تلك الحالات يكون استخدام البحث بالنص الحر مجديًا، وتتمثل تلك الحالات بالنسبة للمصطلحات الجديدة، أو المصطلحات التي تتعلق بجماعات أو فئات معينة on terms و Jar والمصطلحات التي تعبر عن البدع والموضات Fashions، والمصطلحات غير القياسية no-standard. مثل (حالات الاختلاف في الاستخدام بين كل من الإنجليز والأمريكان) (٧٨).

ويذهب بعض المتحمسين لاستخدام اللغة المقيدة إلى تعزيز ماذهبوا إليه بالإشارة إلى أن ضبط المصطلحات ضروري، للتغلب على المشكلات الدلالية والإعرابية syntax and Semantic للمساعدة في اتساق وقوة التكشيف والاسترجاع، «ثم لمساندة مخططي استراتيجيات البحث والمستفيدين في تطوير استراتيجياتهم التي يقومون بها». وكما ذكر دكت «Duckitt (1981)» أن المستفيد يجب أن يتعلم كيف يبحث، ولذا فإنه يحتاج إلى بعض العون والإرشاد، أما البحث في قواعد المعلومات باللغة الطبيعية؛ فإنه يتطلب نوعًا من البراعة والمهارة والعبقرية لكي يتأكد من أن بعض المعلومات المهمة التي تتصل بموضوعه لم يفقدها أثناء البحث. وعلى سبيل المثال؛ فإن الباحث عن معلومات تتعلق بنظم الفديوتكس videotex sys-tems قد لايدرك أن الأمر يتطلب منه القيام بالبحث أيضًا تحت مصطلحات أخرى مثل بريستل PRE-STEL وأنتيوب ANTIOPE، وغيرها من المصطلحات ذات العلاقة، علاوة على أنه من الضروري التفكير فيما هو أبعد من القيام بالبحث في قواعد المعلومات ذات اللغة الواحدة Unilingual da-tabases مادام البحث في قواعد المعلومات الإحالية Cross-databases قد أصبح أمرًا معروفًا وشائعًا، وأن تبادل المعلومات على المستوى العالمي يستلزم - بدرجة كبيرة - عدم الاقتصار على قواعد المعلومات متعددة اللغات، ولكن القيام بالبحث في عدة قواعد معلومات كل منها بلغة تختلف عن الأخرى، وهذه الأمور تقلل من حجم الحماس لاستخدام اللغة الطبيعية مادام من غير المتوقع أن يقوم المستفيد بالبحث في قواعد معلومات بلغات لايجيدها، في حين أن البحث باللغة المقيدة قد يهيئ -- نوعًا ما - التغلب على هذه المشكلة عن طريق المكانز شديدة التعقيد (٧٩) Highly Sophesticated Thesauri.

ويرى جيلشرست A. Gilshrist في كتابه عن المكانز ودورها في الاسترجاع The thesaurus in re-trieval, London Abslib, 1971 أن المكانز - كأداة استرجاع فعالة - أصبحت أمرًا مقبولاً بوجه عام (٨٠).

وقد ذهب لانكاستر F.W. Lancaster (٨١) - وهو من مؤيدي استخدام اللغة الطبيعية - إلى أن المكانز قد استقرت خلال الخمس عشرة سنة الماضية كوسيلة

شائعة مقبولة من اللغات المقيدة (المضبوطة) في نظم الاسترجاع اللاحق Post-coordinate المبنية على الحاسب الآلي، والكثير من هذه الأدوات موجودة الآن، كما أنها تغطي مجالات موضوعية واسعة. وأنه منذ ظهور المكانز المبكرة شاع استخدام كلمة واصفات descriptors للمصطلحات المضبوطة في المكنز. ويجدر بالذكر أن هذا المصطلح قد قام كالفن مورز Calvin Mooers بصكه.

وهكذا أدى موضوع انتشار التنسيق (الربط) اللاحق Post-coordinate (٨٢) إلى ظهور اللغات المقيدة - في شكل قوائم واصفات descriptors lists، أو مكانز تتسم بالإشارة إلى العلاقات بين المفاهيم، وهذا يهيئ إيجاد تنظيم mapping، أو تصنيف للموضوعات. كما أن استخدام إحالة (انظر) يتيح وضع - جنبًا إلى جنب - مجموعات المصطلحات ذات العلاقة ببعضها كالمترادفات، أو قريبة الترادف near synonyms كما أن وجود اللاواصفات non-discriptors في المكنز يوجه المستفيد أو الباحث للواصف الصحيح أو المناسب، ويتم تحديد الواصف واللاواصف في المكنز على أساس نظام المعلومات، وخصوصيات مجموعة الوثائق التي سيتم تطبيقه عليها، وهذه العملية عقلية، ولايمكن أن تتم بواسطة الآلة.

وإذا كان نظام اللغة الطبيعية (الحرة) في الاسترجاع يصطدم بالمشكلات الجناسية homography والترادف synonyms - وتحدث الأولى حينما يكون لكلمة أو جملة معينة معان متعددة، مثل قيام الباحث المتخصص في الموسيقا البحثَ عن الطبلة Drum وهي آلة موسيقية، فإن عليه أن يحسن الاسترجاع بملاحظة أن مصطلح طبلة الأذن Ear Drums، وأن مصطلح Drums أيضًا نوع من الأسماك - واللغة المقيدة تكفل التعامل الأمثل في مثل تلك المواقف.

وتشير إحدى الدراسات إلى أن فاعلية اللغة المقيدة (المضبوطة) إنما يخضع لعدد من المتغيرات التي تتنوع بين مايلي:

- متغيرات جوهرية أساسية:

* طبيعة اللغة المقيدة وحجمها ومستويات التقييد التي تأخذ بها.
* طبيعة النظام الموضوعي، وطبيعة مصطلحاته ومدى غموضها، أو تماسكها، ومدى تعبيرها عن المفاهيم.

- متغيرات داخلية (وظيفية)

* طبيعة نظام الاسترجاع، وهل هو يدوي أم على الخط المباشر؟، وبالنسبة لهذا الأخير، ماهي الخيارات options الممكنة في تصميم استراتيجية البحث؟.

- متغيرات سلوكية:

* مهارة المكشف الذي يقوم باختيار المصطلحات من اللغة المقيدة في وصف الوثائق.
* مهارة الباحث الذي يختار المصطلحات في تطوير استرتيجية البحث.
* متطلبات المستفيد الاسترجاعية، ومدى تحديدها بمصطلحات تهيئ التحقيق والاستدعاء.

- عامل التكلفة:

إن تكاليف بناء لغة مقيدة أمر يجب أخذه في الحسبان، وإن كان هذا العامل لايؤثر كالعوامل السابقة في كفاءة الاسترجاع، ويكون عامل التكلفة متضمنًا:

* تكاليف بناء اللغة المقيدة.
* تكاليف البحث في قواعد المعلومات.

ولم يحدث أن تمت تجارب موسعة يعتد بها في الحكم على ماسبقت الإشارة إليه من متغيرات، ولكن ذلك لايعني توقف المحاولات - بل على العكس - فإنه

لبناء لغة مقيدة، فإنه يلزم التعرف أكثر على كفاءتها وفاعليتها في الاسترجاع.

ويمكن الإشارة إجمالاً إلى مزايا ضبط (تقييد) المصطلحات في نظام استرجاع المعلومات فيما يلي:

- ضمان التمثيل الثابت للمحتوى الموضوعي - من وجهة نظر كل من المكشف والباحث عن المعلومات.
- تقليل تشتت المواد ذات العلاقة عن طريق دمج المصطلحات، والتعبيرات المترادفة وشبه المترادفة، والتمييز بين المصطلحات ذات التجانس.
- تمكين الباحث من القيام بالبحث الشامل لموضوعه باستخدام أنواع الربط المختلفة بين المصطلحات.
- تهييء المفردات المقيدة توافقًا في لغة كلٍّ من المكشف والباحث أو المستفيد.

أما بالنسبة لنظام اللغة الطبيعية (الحرة)، فإن لانكاستر Lancaster (٨٢) وهو من المتحمسين له، يقرر أن الفضل في ظهور هذا النظام وانتشاره يعود إلى استخدام الحاسبات الآلية، حيث تهيئ البحث في النص الحر دون الحاجة إلى تكشيف، كما تم تصميم النظم الفعالة من أجل البحث في نصوص المستخلصات، والبحث في نصوص الوثائق ذاتها، دونما حاجة إلى تقليل حجم النص أو إجراء معالجة مسبقة pre-processing له بأي شكل، وقد وجدت الأنظمة من هذا النمط في حقل القانون منذ بواكير الستينات. وازدهرت نظم البحث في النص أكثر فأكثر مع توافر المستخلصات في قواعد المعلومات المقروءة آليا Machine - Readable Databases (٨٣).

ويبدو من الواضح - في رأي لانكاستر - أن الاتجاه الراجح في التكشيف عبر السنوات القليلة الماضية هو الابتعاد عن الطرق التقليدية في التكشيف بواسطة اللغات المقيدة، أو في الحقيقة بعيداً عن التكشيف بأية صورة. وقبل استخدام الحاسبات الآلية في استرجاع المعلومات، لم يكن من الممكن تمامًا العمل وفق نظام مبني على كلمات مفتاحية غير مقيدة Uncontrolled Keywords أو جمل غير مقيدة (٨٤).

وقد هاجم بوركو Harold Borko الأستاذ بجامعة كاليفورنيا (لوس أنجلوس) UCLA استخدام التكشيف التقليدي اليدوي human - based indexing في عصر الحاسب الآلي، وذلك في بحث مقدم إلى المؤتمر الدراسي العالمي الرابع 4th International Study Conference الذي عقد برعاية الاتحاد الدولي للتوثيق/ بحوث التصنيف (Federation International de Documentation / Classif. Research) الذي عقد في أوسبرج Ausberg بألمانيا الغربية عام ١٩٨٣م. حيث أوضح بوركو رؤيته الخاصة لمعالم مكتبة المستقبل التي أطلق عليها اسم «المكتبة الديناميكية dynamic library» وهذا المفهوم بني على الفرضية التالية (٨٥):

- أن الفهرس سوف يتكون فقط من تسجيلات مارك MARC المختزنة في الحاسب الآلي، في مجالات مختارة للملفات المقلوبة inverted files لكي تسمح بالبحث المباشر بواسطة اسم المؤلف، أو العنوان. وما إلى ذلك.
- من المفترض أن التحليل الموضوعي أو التكشيف سوف يتم (إجراؤه) كلية بواسطة الحاسب الآلي، حيث سيتم تخزين جزء من نص الوثيقة - يتراوح مابين المستخلص إلى كامل النص في بعض الحالات - في الحاسب الآلي، وسوف يقوم الحاسب باستخراج الكلمات المفتاحية تلقائيّاً من النص الكامل، لتكون في الملفات المقلوبة الجاهزة للبحث المباشر.
- يفترض بوركو أن المستفيد سوف لايستطيع التعامل مع الرفوف حيث سيتم البحث في المكتبة الديناميكية عن طريق الطرفيات computer terminals، ويرى

بوركو أن هذا التطور يعد نهاية التصنيف وتنظيم الكتب على الرفوف، ومن ثم يقترح «أن مجموعة المكتبة يمكن أن ترتب برقم القيد أو السجل، أو هجائياً بالمؤلف، أو وفق تقسيمات موضوعية عريضة».

- وسيتم البحث الموضوعي عن طريق مضاهاة matching المصطلحات أو الاستفسارات مع الملفات المقلوبة inverted files للكلمات المفتاحية المستخرجة - أوتوماتيكياً - حسب قول بوركو «من اللغة الطبيعية غير المقيدة natural uncontrolled language للوثيقة» من منطلق أن ذلك سوف يساعد المستفيد «في التعرف على بعض المصطلحات المقابلة relevant، حيث يتمكن من عرضها على الشاشة screen في ثوان».

ومن ثم يرى بوركو أن هذا الفهم للبحث الموضوعي في المكتبة الآلية Full-automated سوف يكون أرخص من التكشيف اليدوي فضلاً عن فاعليته، ولكي يعضد رؤيته فإنه يشير إلى أن:

«أظهرت الاختبارات التجريبية أن الاسترجاع مع التكشيف اليدوي، باستخدام لغة مقيدة أو مكانز مرتبة هرمياً، ليس أفضل بأي حال من الأحوال من الاسترجاع بالكشافات المستخرجة من اللغة الحرة للوثيقة - فالتكشيف باللغة الطبيعية أقل تكلفة» (٨٦).

وقد أجريت دراسات حديثة لتقييم فعاليات الاسترجاع وحساب قيم الاستدعاء والتحقيق Values of recall and precission لنظام استرجاع النص الحر، وقد قام بلير D.C. Blair بإجراء دراستين في هذا الصدد، أحدهما عام ١٩٨٠م. والأخرى عام ١٩٨٥م (٨٧)، ولعل أهم النتائج التي تم التوصل إليها توضح أن استرجاع النص الحر، يبنى على فرضية مؤداها أن الباحثين يسهل عليهم نسبياً التوقع (أو التنبؤ) بشأن الكلمات والجمل المستخدمة في الوثائق، التي ينظر إليها على إنها وثيقة الصلة revelant بطلباتهم أو بحوثهم - وحقيقة الأمر أن ذلك أمر يسير (كما يرى بلير) - ولكن المشكلة أن معظم الكلمات والجمل التي يمكن أن يعينها الباحث أو يستخدمها لذلك، يمكن أن تكون بالفعل في الوثائق ذات العلاقة ببحثه، كما قد تكون في بعض الوثائق الأخرى غير وثيقة الصلة non-relevant، وهذا ينشأ عنه مايعرف باسم «التحميل الزائد في المخرجات» output overload ومن ثم؛ فإن التعرف على الكلمات والجمل التي تظهر في الوثائق وثيقة الصلة بموضوع البحث، ليس أفضل الاستراتيجيات للتعامل مع الاسترجاع بالنص الحر، ولكن الباحث لايجب عليه فقط أن يقوم - بكفاءة - بتوقع الكلمات والجمل التي تظهر فقط في الوثائق ذات الصلة بموضوعه؛ بل أيضًا عليه توقع ما لا يظهر في نصوص الوثائق غير الوثيقة الصلة بالموضوع، ولا شك أن صياغة استراتيجية بحث كهذه تعد صعبة بل مستحيلة.

ويشير ويسلي سيمونتون Wesley Simonton إلى أن علماء المستقبليات ومنهم دولاند Doland (1981) يتنبأون بأن اللغة المقيدة لن تصمد طويلاً كحاجز بين المستفيدين والاسترجاع الفعال باللغة الطبيعية - وهذا أيضًا ماذهب إليه كل من دكت Duckitt (1981) ولانكاستر Lancaster (1980) (٨٨).

وقد أوضحت بعض الدراسات والتجارب الاستقصائية، والتقويمية مثل دراسة كليفردون Cleverdon et al (1966)، وايتشنسون Aitchenson et al (1969 - 1970) ولانكاستر Lancaster et al (1972)، أن البحث باللغة الطبيعية يحقق أداء يستوي - على الأقل - مع البحث باللغة المقيدة إن لم يكن بدرجة أفضل، وتدريجياً سوف تزدهر قواعد معلومات النصوص، وتصبح متاحة للجميع على الخط المباشر، كما أن تكاليف الخزن والبحث في هذه القواعد يتجه

نحو الانخفاض. ويمكن أن نتوقع مع تيار التطورات التقنية أن يصبح إجراء البحث في قواعد النص الكامل أمرًا يسيرًا عمليًا واقتصاديًا (٨٩).

وفي دراسة أخرى قام بها فريق المحررين للمستخلصات الكيميائية Chemical Abstracts (CA) اتضح «أن بحث النص الحر يمكن أن يكون فعالاً مثل البحث باللغة المقيدة، إذا كان القائم بالمهمة خبيرًا ومتضلعًا في المجال الذي يتم فيه البحث، بل يمكن أن يسفر عن تحقيق فعاليات أوقع، لأن اللغة المقيدة أحيانًا تضحي بالدقة لصالح قابلية التنبؤ predictability» (٩٠).

وبالرغم من أن سلسلة الاختبارات التي أجريت على لغات التكشيف في جرانفيلد Granfield (١٩٦٠م) وتلك التي تلتها في Aberystwyth قد أسفرت عن نتائج تتفق وماذهب إليه K. Bhattacharya في مقالة (٩١) من أن (اللغة الطبيعية وبدون أدنى ضبط هي الأفضل "الأمثل" بين لغات التكشيف). فإن عدة اختبارات أخرى أجريت مؤخرًا عن مميزات ومساوئ كل من اللغة الحرة والمقيدة، أيضًا أسفرت الأخرى عن مجموعة من المتناقضات تتعارض مع النتيجة الواضحة التي توصلت إليها جرانفيلد (في تفضيل اللغة الطبيعية)، ومن الطبيعي أن اختبارات جرانفيلد للغة التكشيف أجريت على مجموعة صغيرة نسبيًا تحت ظروف معملية ولغات مضبوطة تم تكشيفها بفضل التقنيات التي تم استخدامها، ومن ثم فإن مقاييس الاستدعاء والتحقق التي اعترف بها في جرانفيلد قد اعتمد عليها كمؤشرات مقبولة للأداء بالرغم من أنها مبنية على تخمينات غير موضوعية، ومن ثم تنوعت النتائج (٩٢).

وقد قام هينزلر Henzler بإجراء تقييم لقاعدة معلومات CANCERNET (ليست لها مستخلصات) وتوصل إلى أن الاستدعاء كان جيدًا بصفة عامة باستخدام اللغة المضبوطة، في حين أن الأمر بالنسبة للموضوعات الجديدة أو المبتكرة جاء غير ذلك، كما أن اللغة المضبوطة قدمت نسبة دقة عالية، بالنسبة للموضوعات الأساسية topical subjects، وقد انتهى هينزلر إلى: أن إمكانات البحث بكل من النص الحر واللغة المقيدة يجب أن يكون متاحًا في اندماج أمثل.

كما أجرى هرسي Hersey وآخرون دراسة على قاعدة معلومات بحوث المشروعات Research Projects في أربعة مجالات موضوعية عريضة: أبحاث مبيدات الحشرات Pesticiede research، علم أحياء التناسل والتكاثر Reproduction and population biology، علم طبيعة المحيطات Physical oceanography، علم طبيعة الجوامد Solid state physics.

وبمقارنة نتائج الاسترجاع على الخط المباشر بكلمات النص الحر مقابل خطط التكشيف الموضوعية، اتضح أن الخطط الموضوعية نتج عنها معدلات استدعاء أعلى بنسبة ٣٠ - ٤٠٪، فضلاً عن حوالي ١٥ - ٢٠٪ زيادة في قيم الصلة relevance values، وبذلك تفوقت على البحث بالنص الحر.

كما أوضح وينبرج Weinberg بالنسبة لمجموعة من مقالات المجلات في مجال الهندسة المدنية civil engineering أن عددًا كبيرًا من مصطلحات الاسترجاع ذات القيمة ظهرت فقط باستخدام البحث بالنص الكامل، ولم يحدث ذلك بالنسبة لاستخدام البحث في العناوين والمستخلصات (٩٣).

وفي النهاية يمكن الإشارة بصفة عامة إلى كل من مزايا وعيوب كل من نظام اللغة المقيدة (المضبوطة) ونظام اللغة الطبيعية الحرة على النحو الآتي: (٩٤)

مميزات اللغة المضبوطة (المقيدة):

- تعمل على حل المشكلات الدلالية semantic وتوضح علاقات المفاهيم، ولذا فإنها تدعم وتعزز جهد كل

من المكشف والباحث.
- يمكن استخدام الروابط المختلفة المستوى (العمومية، والخصوصية).
- تقلل حجم التشتت في الكشاف.
- تنظم بكفاءة خريطة مجالات المعرفة.
- إذا أحكم بناؤها وتطبيقها؛ فإن قدراً عالياً من الاستدعاء والتحقق يكون متاحاً في الاسترجاع.

عيوب اللغة المضبوطة (المقيدة):
- تتطلب كفاءة من المكشفين وبعض ذوي الكفاءة في أعمال التحرير، مما يؤدي إلى ارتفاع تكاليفها.
- إمكان حدوث عدم التوازن في التغطية.
- الأخطاء الناتجة عن العاملين في النظام human errors.
- تقادم المفردات (المصطلحات) في بعض الأحيان.
- صعوبة إيجاد الربط المنظم لعلاقات جميع المصطلحات ذات الصلة بالموضوع.

مميزات اللغة الطبيعية (الحرة):
- التكلفة المنخفضة: نظراً للاقتصاد في العمليات الآلية، بالإضافة إلى الحصول على المعلومات في وقت قصير دون تأخير.
- بساطة البحث، فليست هناك حاجة إلى الألفة مع نظام معقد للغة المقيدة.
- لايوجد نسبة فقد في المعلومات التي سيتم استرجاعها، حيث إن جميع كلمات النص خاضعة للبحث والفحص وفق نظام واحد، وآلة واحدة، وفي عملية واحدة.
- كل كلمة لها قيمة ومكان في الاسترجاع.
- لاتوجد أخطاء ناتجة عن التكشيف الذي يقوم به الأفراد.
- لايوجد تأخير مع دمج مصطلحات جديدة.
- لايوجد نقص في الخصوصية Specifity نظراً لعدم تعرض المعلومات للتحليل، أو التكشيف أو الاستخلاص.

عيوب اللغة الطبيعية (الحرة):
- يتحمل الباحث أعباء وتبعات فكرية كبيرة، فالبحث في كامل النص باللغة الطبيعية يتطلب تضمين وتجميع أكبر قدر من المرادفات، وقد لايكون ذلك أمراً ميسوراً لكل باحث.
- المعلومات الضمنية implicity وغير المعلنة (الصريحة) overthy في النص قد لايمكن الحصول عليها.
- عدم توافر وسائل ربط الخاص بالعام، في حين أنه ليس من المحتم أن تتوافر بالوثيقة المصدر تلك المصطلحات العامة والخاصة (المحددة).

الهوامش والمراجع

* المنطق البولي: يكون باستخدام العوامل المنطقية (و AND أو OR ليس NOT) تستخدم AND لربط مفاهيم مختلفة في البحث، وتستخدم OR لربط المفاهيم المترادفة، أما NOT فتستخدم لاستثناء بعض المفاهيم غير المرغوبة في البحث.

١ - Deschatelets, Gilles. The three language theory in information retrieval Int. Classif. 13 (1986) No.3: - p.127 .

٢ - Myriat, Jean. Social Science information languages, a comparative analysis. - Int. Classif. 7 (1980) No. 2. - p. 60.

٣ - Devadson, francis J. Computerization of deep structure based indexes Int. classif. 12 (2) 1985. - p. 87.

٤ - Cleveland, B. Donald. Introduction to indexing & absteracting/ by B. Donald Cleveland and Ana D. Cleveland. Littleton (Colorado): Libraries Unlimited, 1983. - p. 33.

٥ - Sharp, J. R. Natural language, journal of Doc-

[illegible]. Vol. 31, No. 3, September 1975. - p. 193.

٦ - Salton, Gerard. Intro-[illegible] to modern in-[illegible] retrieval/ by Gerard. Salton & Michael J. McGill. - N, Y.: mcGraw - Hill, 1983. - p. 1.

٧ - Sharp, J. R. op. cit. - p. 35.

٨ - محمد فتحي عبدالهادي. [illegible] المعلومات ٠ - القاهرة: المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ١٩٧٧م ٠ - ص٥٤ .

٩ - Borko, Harold. Indexing [illegible] and methods/ by Harold Borko and Charles Bernier. - N. Y. : Academic Press, 1987 .- p. 159.

١٠ - Ibid.

١١ - Longley, Dennis. Mac-[illegible] dictionary of in-[illegible] technology. / by Dennis Longely and Machael shain - 2nd ed..- London: Macmillan Press, 1985. - p. 186.

١٢ - Fosket, A.C. The subject [illegible] to information. - 4th ed. - London: Clive Bingley, 1982. - pp. 39 - 49.

١٣ - Borko, Harold. op-cit. pp. 160 - 161.

١٤ - Fosket, A.C. op-cit. p.41.

١٥ - Ibid. p. 41.

٦ - تيد، لوسي أ. [illegible] إلى [illegible] المبنية على الحاسب الآلي [illegible] / ترجمة محمود أحمد أتيم ٠ - تونس: المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ١٩٨١ ٠ - ص١٦ .

١٦ - Borko, Harold, op-cit.. - p. 171.

١٧ - Hodges, Pauline R. Key-[illegible] title indexes, effectiveness in computer research. Special Libraries: January, 1983, P. 57.

١٨ - Peritz, Blume C. on the informativeness of titles. Int. Classif. No. 2. p.87.

١٩ - Ibid.

٢٠ - Hodges, Pauline. op. cit. - p. 60.

٢١ - Borko, Harold. op-cit. pp. 164 - 165.

٢٢ - Olsgaard, John N. Improving indexing / by John N. Olsgaard and john Edward Evans. Journal of the Amirican society of information Science. January 1981. p. 71.

٢٣ - Cleveland, Donald B. - op - cit.

٢٤ - Ibid. p. 38.

٢٥ - Vickery, B.C. Classification and Indexing in Siemce, 3rd ed.. -London: Butterworth, 1975. - p. 125.

٢٦ - محمد فتحي عبدالهادي، الفهرسة الموضوعية، دراسة في رءوس الموضوعات العربية . - جدة: دار الشروق، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م ٠- ص ٥٢ - ٥٣ .

٢٧ - Corong, Martha. A history of indexing technology. The Indexer: Vo. 13. No. 3, April 1983 .- p. 155.

٢٨ - Lancaster, F.W. Information retrieval by cmputer / F.W. Lancaster and Jean M. Owen. in The information age; its development, its impact / ed. by Donald P. Hammer.- Metuchen (New Jersy): The Scarecrew Press, 1976.- pp 9 - 10.

٢٩ - Costello, John. Coordinate indexing .- New Jersey: Graduate School of Library Science, 1966 .- pp. 98 - 100.

٣٠ - محمد فتحي عبدالهادي، الفهرسة الموضوعية، مرجع سابق ٠ - ص٥٣

٣١ - تيد، لوسي، مرجع سابق ٠ - ص١٤٩ - ١٥٠ .

٣٢ - Madelung, Hans-ole. Subject indexing in the social sciences: a comparison of PRECIS and KWIC indexes to newspaper articles. Journal of Librarionship: 14 (1) January 1982 .- pp. 45 - 46.

٣٣ - Nedobity, Wolfgang. Terminology and its application to classification, indexing and abstracting. UJISLLA: VOL. V, No.4, 1983. - p. 227.

٣٤ - Ibid.- p. 228.

٣٥ - Lancaster, F.W. op-cit..- p.7.

٣٦ - Lancaster, F.W. Information retrieval systems, description, charactaristics, testing and evaluation .- 2nd ed .- New York: Wiley, 1979 .- p. 287.

٣٧ - UNESCO. UNISIST guid to standars for information handling/ prep. by UNISIST Working Group on Bibliographic Data Interchange. comp. by Erick vajda. - Paris: 1980 .- p. 36.

٣٨ - Lancaster, F.W. In-

formation retrieval by computer. op. cit. pp.- 7-11.

٣٩ - UNISCO. UNISIST guide to standards for information handling. op. cit..- p. 36.

٤٠ - Ibid .- p.37.

٤١ - Svenonius, Eliane. Unanswered questions in the design of controlled vocabularies. Journal of the American society for information Science: 37 (5) 1986.- . 332.

٤٢ - Vickery, B.C. Faceted classification. a guide to construction and use of special schemes. - London: Aslib, 1970 .- pp7.

٤٣ - Ibid. p. 8.

٤٤ - Praal, B. R. Need. Functional foundations of a pr... general classification in general classification Systems in a changing world. Proceedings of the FID classification Symposium... Brussels Nov. 1976 .- Brussels: FID, 1978 .- p. 12.

٤٥ - Felbr, Helmut. UDC and terminology. Int froum Inf. Doc.: 1983, vol. 8, No. 2 .- pp. 7 - 8.

٤٦ - Boisova, N.D. The system... ms in the Systematic ive- Language vocab... on UDC theory and practice. Int. Fourm ... DOC. vol. 11, No. 2, April 1986 .- p. 13.

٤٧ - Mektiev, D,M. Use of the UDC ... an automated multibranch information system, in general classification system in a changed world, processing of the FID classification Symposium. Brussels. Nov. 1976, Bryssels, FID, 1978, p. 57.

٤٨ - Davis, Charles H. Information retrieval and documentation in chemistry/ by Charles H. Davis and James E, Rush .- London: Greenwood, 1977 .- p. 18.

٤٩ - Chan, LOis Mai. Library of Congress Classification as an online retrieval tool: potentials, Limitations, Information tecnology and libraries: September 1986.- pp. 181 - 191.

٥٠ - Scibor, Engeniusz. UDC in relation to thesauri: a state of the art report. in New trends in documentation and information, (Preceeding of the 39th FID Cingrees, Universty of Edinburgh 25 - 28 Sep. 1978) / ed. by Peter J. Taylor .- London: Aslib, 1979 .- p. 249.

٥١ - Ibid, p. 250.

٥٢ - Dahlberg, Ingetruat / Editorial: Classification and complexty. Int. Classif: 13 (1986) No. 2 .- p. 63.

٥٣ - Davis, Charles. op. cit.- pp. 18 - 19.

٥٤ - محمد فتحي عبدالهادي، الفهرسة الموضوعية، دراسة في رءوس الموضوعات العربية، مرجع سابق ٠- ص٢٢ .

٥٥ - UNESCO, Guidelines for the evaluation of information systems and services / prep. by F.W. Lancaster .- Paris: 1970 .- p. 9.

٥٦ - UNISCO, UNISIST guide to standards for information handling .- op. cit .- pp. 40 - 41.

٥٧ - محمد فتحي عبدالهادي، الفهرسة الموضوعية، دراسة في رءوس الموضوعات العربية، مرجع سابق ٠- ص ١٦٦ - ١٧٧ .

٥٨ - Davis, Charles H. -op-cit .- pp. 20 - 21.

٥٩ - Lancaster, F.W. Information retrieval by computer. op-cit .- p. 7.

٦٠ - Sevnius, Eliane .- op. cit .- p. 332.

٦١ - Ibid.

٦٢ - Lancaster, F.W. Trends in subjects indexing from 1957 - 2000. in New trends in documentation and classification (Proceedings of the 39th FID Congress University of Edinbourg, 25 - 28 Sept. 1978) / ed. by Peter J. Taylor, London: Aslib, 1980 .- p. 241.

٦٣ - Lancaster, F.W. Information retrieval by computer. op. cit .- p. 11.

٦٤ - Doszkocs, Tames E. Natural language processing in information retrieval. Journal of the American Socity for Information Science: 37 (4) 1986..- p. 191.

٦٥ - Grishman, Ralph. Natural language processing. Journal of the American Science: 35 (5), September 1984, p. 291.

٦٦ - Svenonius, Eliane. op. cit .- pp. 332 - 333.

٦٧ - حشمت قاسم. دراسة كرانفيلد وتطور مناهج البحث في علم المعلومات. مجلة المكتبات والمعلومات العربية: س١، ع٤، ذو الحجة/ أكتوبر ١٩٨١. - ص٤٩ - ٩٥.

٦٨ - Savenonius, Eliane, op. cit .- p. 333.

٦٩ - عبدالرازق يونس. تطور أساليب تخزين واسترجاع المعلومات. الكمبيوتر والإلكترونيات: شباط (فبراير) ١٩٨٦م. - ص٢٨.

٧٠ - Lancaster, F.W. Information retrieval systems: description, charactristics, testing, and evaluation .- op. cit .- pp. 287 - 289.

٧١ - Niehoff, Robert. The vocabulary switching system: description of evaluation studies / by Robert Niehoff and Greg Mack .- Int. Classif.: 12 (1985) No. 1 .- p. 2.

٧٢ - Henzler, Rolf G. Free or controlled vocabularies? some statistics user-orinted of biomedical information systems. Int. classif.: 5 (1) 1978 .- pp. 21 - 26.

٧٣ - Markey, Karen, An analysis of controlled vocabulary and free text search statments in online searches / by Karen Markey, Pauline Atherton & Claudia Newton. - online review: 1982 (4) .- pp. 225 - 236.

٧٤ - Kalkins, Mary L. Free text or controlled? a case history step - by - step analysis.. plus other aspects of search strategy .- Database: 1980, (3) .- pp. 53 - 67.

٧٥ - Svenonius, Elaine. op. cit .- p. 234.

٧٦ - The German Society for Classification. Free-text in information: capabilities and limitations. Int. Classif. 12 (1985) No. 2 .- p. 95.

٧٧ - Nedobity, Wolfgang .-- op-cit- p. 229.

٧٨ - Peternick, Anne B. searching vocabularies; a developing category of online search tools. Online Review: Vol. 8, No. 5, October 1984 .- p. 17.

٧٩ - Simonton, Wesley. Advances in librarianship. New York: Academic Press, 1984 .- vol. 13 .- p. 81.

٨٠ - Dubois, C. P. R. Free text vs. controlled vocabulary; a reassessment. Online Review: 1987, Vol. 11, No. 4 .- p. 244.

٨١ - Lancaster, F.W. Information retrieval by computer. op-cit .- p. 10.

٨٢ - Nedobity, Wolfgrang. op. cit .- p. 231.

٨٣ - Svenonius, Eliane, op. cit .- p. 331.

٨٤ - Lancaster, F.W. Trends in subject indexing from 1957 - 2000 .- op. 228.

٨٥ - Austin, Dereck. Vocabulary control and information technology, Abslib Proceedings: Vol. 38, No. I, January 1986 .- p. 2.

٨٦ - Ibid.

٨٧ - Blair, David C. Full text retrival: evaluation and implications. Int. Classif.: 13 (1986) No. 1 .- pp. 18 - 23.

٨٨ - Simonton, Wesley. op. cit .- p. 80.

٨٩ - Lancaster, F.W. Trends in subject indexing from 1957 - 2000 op. cit .- p. 228.

٩٠ - Svenonius, Elaine. op. cit .- p. 333.

٩١ - Bahattacharya, K. The effictivness of natural language Science indexing and retrieval, Journal of Documentation: 30, 3, 1974 .- pp. 235 - 245.

٩٢ - Dubois, C.P.R. op. cit .-- pp. 244 - 245.

٩٣ - Ibid .- p. 245.

٩٤ - Dubois, C.P.R. op. cit .-- ---Feinberg, Hilda p. 249. (ed.). Indexing Specialized format and subjects Metuchen (New Jersy), The Scarecrow Press, 1983 .- p. 262.

مفهوم التصحيف
دراسة في تأصيل المصطلح

وليد محمد السراقبي

الإمارات العربية المتحدة – العين

يحاول هذا البحث – بكل تواضع – أن يرودَ أفق مصطلح «التصحيف» الذي نقف عليه عند قراءتنا كتبًا تراثية محققةً عن أصول خطية ؛ ذلك أن المحقق كثيرًا ما يشير في تعاليقه إلى أن هذه الكلمة «مصحَّفة»، وأن تلك «محرَّفة». ولعلَّ قضيَّة التصحيف في الكتابة العربية من القضايا التي لفتت أنظار بعض علماء العربية، فصنَّفوا فيها الكتب التي تجلو أسبابها، وتكشف مخبّآتها، فما معنى هذا المصطلح لدى علماء اللغة ؟ وما معناه لدى علماء المصطلح ؟ وما معناه في كتب التصحيف والتحريف ؟

★ - معنى التصحيف لغة

لم يورد الخليل بن أحمد الفراهيدي (– ١٧٠هـ) مصطلح التصحيف بصيغته المصدرية، واكتفى بذكر مَنْ تنشأ عنه عمليَّة التصحيف؛ أي الذي يقرأ في الصحيفة خطأ وينقله خطأ كذلك، فقال : «الصَّحفيُّ : المصحِّف، وهو الذي يروي الخطأ عن قراءة الصحف بأشباه الحروف» (١) .

فالخليل ينظر إلى الأمر من ناحية الكتابة التي تتشابه فيها بعض صور الأحرف، مما يؤدي إلى التباسها على القارئ فيخطئ في قراءتها أولاً، ثم ينقلها على النحو الذي قرئت عليه ثانيًا .

وكان الجوهري (– ٣٩٣هـ) أول من ورد لديه مصطلح «التصحيف» بصيغة المصدر، فقد جاء في معجمه (الصحاح) ؛ «التصحيف : الخطأ في الصحيفة» (٢). ومما يلاحظ على هذا القول أن الجوهري يسوِّي فيه بين التصحيف والخطأ المطلق، ذلك أنه لم يبيِّن أي خطأ يريد ، هل يريد الخطأ في القراءة – ولعلَّ هذا مراده – أو في الكتابة، أو في كليهما معًا ؟

ولكن الأزهري (– ٣٧٠هـ) يلتقي مع الخليل نفسه في تفسيره كلمة «التصحيف»، فيذكر أن الذي يروي الخطأ عن قراءة الصحف يُسمَّى مصحِّفًا وصحفيًا (٣) .

ونصادف عند الزمخشري (– ٥٣٨هـ) صيغة جديدة مشتقة من الفعل (صحَّف) وهي صيغة مبالغة اسم الفاعل، ونجد إلى جانب ذلك جمعًا بين مسألة الخطأ في القراءة ومسألة جديدة لم نصادفها عند اللغويين السابقين عليه، وهي مسألة «اللحن»، فيقول : «صَحَفيٌّ وصحَّاف، وهو لحَّانة مصحِّف، وصحَّف الكلمة» (٤) .

فالزمخشري – كما نلاحظ – يقرن بين مسألتي التصحيف واللحن، واللحن يقع عادة في الكلام كما يقع في القراءة. ثم إنه يرجع التصحيف إلى القراءة والكلام.

أما الصاغاني (– ٦٥٠هـ) فينظر إلى الكلمة من ناحية قراءة الصحيفة والخطأ في القراءة وتصحيفها، فيقول : «والذي يقرأ الصحيفة ويخطئ في القراءة ويصحِّف : صَحَفيٌّ، بالتحريك» (٥) .

ونجد للكلمة المعنى نفسه لدى كل من الفيروزابادي في (القاموس المحيط) (٦)، وابن منظور في معجم (لسان العرب) (٧)، إلا أن ابن منظور يحاول تأصيل الكلمة فيذكر أنها كلمة مولَّدة، فيقول : «المصحِّفُ والصَّحَفيُّ : الذي يروي الخطأ عن قراءة الصحف بأشباه الحروف، مولَّدة» . أي هو ذاك الذي يقرأ خطأ ويروي خطأ أيضًا، إلا أن الأساس في ذلك القراءة الخاطئة .

ويورد الزبيدي في معجمه (تاج العروس) الصيغ المشتقَّة من الفعل (صحَّف) والواردة في أقوال

سابقيه، ولكنه يبين من جهة أخرى أن هذه الكلمة مما انتقل من الخواص إلى العوام فدخلها اللحن، فيقول : «الصَّحَفيّ، محركّة : مَنْ يخطئ في قراءة الصحف، وقول العامة : الصُّحُفي، بضمتين، لَحنٌ ... والتصحيف : الخطأ في الصحيفة بأشباه الحروف، مولَّدة، وقد تصحَّف عليه لفظ كذا ... والمصحِّف، كمحدِّث : الصَّحَفي» (٨) .

ويمكن إجمال آراء علماء اللغة في معنى كلمة «التصحيف»، في أن هذه الكلمة تعني الخطأ في قراءة الصحيفة، وأن السبب في ذلك عائد إلى تشابه الحروف في اللغة العربية، وأن هذه الكلمة مولَّدة وليست بعربية أصيلة، ولعل ذلك ما منع ابن فارس من إيرادها في معجمه «المقاييس» (٩) .

ولا يخفى على الدارس أن مَنْ يخطئ في قراءة الصحيفة، سينتقل خطؤه إلى الكتابة أيضًا، مما يسمح بالقول : إن التصحيف هو الخطأ في القراءة والكتابة معًا.

*** - معنى التصحيف في الاصطلاح

وأما معنى التصحيف في الاصطلاح فيعرفه الخطيب البغدادي (- ٤٦٣هـ) بأنه «تحويل النقط عن مواضعه الصحيحة، وتغيير حركة الحرف مع بقاء رسمه» (١٠) .فالتصحيف وفق هذا الرأي أساسه الكتابة، وعليها تبعة الخطأ .

إن التعريف السابق يحصر مفهوم التصحيف في مسألتين :

الأولى : تغيير مواضع النقط .

الثانية : تغير حركة الحرف مع بقاء رسمه .

ويلاحظ على هذا التعريف أنه لم يحدِّد ميدان التصحيف بل جاء به في صيغة العموم ، بحيث يمكن للدارس أن يفهم منه شموله لكل من القراءة والكتابة .

إلا أن الشريف الجرجاني يحدد ميدان التصحيف فيذكر أنه القراءة فيعرفه بأنه «قراءة الشيء على خلاف ما أراده كاتبه، أو على خلاف ما اصطلحوا عليه» (١١) .

وهذا التعريف أريد به أن يكون تعريفًا عامًّا أيضًا وإنْ لم يصرِّح صاحبه بغير ميدان واحد يقع فيه التصحيف، إذ من البدهي أن يقع التصحيف أولاً في القراءة لأن الكتابة تَبَعٌ لها، فمنْ يقرأ خطأ فسيروي خطأ ويكتب خطأ أيضًا، وهذا يدلّ على أن الخطأ الأساسي كان من كتابة الصحيفة ثم انتقل إلى الرواة الآخرين عن الصحف فعمَّ الخطأ .

أما التصحيف عند التهانوي (توفي في القرن ١٢هـ) فهو : «الخطأ في الكتابة» (١٢)، فهو يقصره على الكتابة فحسب، ثم يحدِّد الميادين التي يقع فيها التصحيف في ثلاثة ميادين، الأول : اللغة، والثاني : الإلغاز والتعمية، ويراد به «تغيّر الصورة الخطيَّة للفظ بمحو نقطة أو إثباتها، أو بتقديم الحروف وتأخيرها» (١٣)، والثالث : الحديث، والتصحيف عند أصحابه: «تغيير الحديث بتغيير النقط» (١٤) .

فالتصحيف إذًا يقع في القراءة الخاطئة أو الكتابة الخاطئة والرواية غير الصحيحة، ويقع أيضًا في مفردات اللغة ويكون غير مقصود غالبًا، وفي الإلغاز والتعمية وهنا يكون مقصودًا، وفي الحديث وقد يأتي عفوًا وقصدًا في هذا الميدان .

*** - مفهوم التصحيف لدى المؤلفين في هذا الفن

لفتت قضية التصحيف انتباه عدد من العلماء فحاولوا البحث فيها، وتحديد مفاهيمها، وجلاء أسبابها.

فحمزة بن علي الأصفهاني (- ٣٦٠هـ) يشرح في كتابه «التنبيه على حدوث التصحيف» (١٥) معنى التصحيف فيقول : «... أما معنى قولهم التصحيف فهو أن يُقْرأ الشيء بخلاف ما أراده كاتبه، وعلى غير ما اصطلح عليه في تسميته»(١٦) .

فهو يقصر مفهوم التصحيف على القراءة فحسب، ويرجع اشتقاق الكلمة إلى الأخذ عن الصحف، إلا أنه لا يقطع بذلك، ذلك أنه يستخدم عبارة يفْهم منها عدم قطعه بذلك، فيقول : «... وأما لفظ التصحيف فإنَّ أصله فيما زعموا أن قومًا أخذوا العلم عن الصحف من غير

أنْ لقوا فيه العلماء، فكان يقع فيما يروونه التغيير فيقال عندها : صحَّفوا » (١٧) .

ولما كان حمزة ينظر إلى التصحيف على أنه تغيير في المقروء ؛ فإنَّ بالإمكان أن نقف لديه على مصطلحين آخرين يستويان في المعنى مع التصحيف، وهما: التغيير والتبديل، فهو لا يرى بأسًا في إطلاقهما على التصحيف، إذ «لو سُمِّي التصحيف تغييرًا أو تبديلاً، جاز»(١٨) .

ويردّ حمزة التصحيف إلى التشابه في صور بعض حروف اللغة العربية، فيقول : «وأما سبب وقوع التصحيف في كتابة العرب فهو أن الذي أبدع صور حروفها لم يضعها على حكمة ولا احتاط لمن يجيء بعده، وذلك أنه وضع لخمسة أحرف صورة واحدة، وهي : الباء، والتاء، والثاء، والياء، والنون، وكان وجه الحكمة فيه أن يضع لكل حرف صورة مباينة للأخرى حتى يؤمن التبديل» (١٩)، وهذه محاولة منه لتبرئة الأخذ عن الصحف وإلقاء التبعة على واضع الحروف.

وينقسم التصحيف لدى حمزة الأصفهاني إلى : الخطأ في الضبط، والخطأ في النقط، والخطأ في الرسم. ومن أمثلته على الخطأ في الضبط تصحيف كلمة (الكُلاب) إلى (الكِلاب)، ويوم (الكُلاب) يوم مشهور من أيام العرب (٢٠) .

ومن أمثلته على الخطأ في النقط قوله : «كما روى آخر أن رسول الله ﷺ كان يستحب العَسَل يوم الجمعة، وإنما الصواب : يستحبّ الغُسْلَ» (٢١). ومنه أيضًا قراءة الآية القرآنية الكريمة : ﴿وَجَعَلَ السقايةَ في رَحْلِ أخيه﴾ (٢٢) إذ صُحِّفت كلمة (رَحْل) إلى (رجل) .

أما الخطأ في الرسم فمثَّل له بما يرويه عن الأخفش من أنه أنشد أبا عَمْرو بن العلاء :

قالتْ قُتيلةُ : مالـه قد جُلِّلتْ شيبًا شواته ؟

فرواه الأخفش : «شَوَاته» فقال له أبو عمرو : صحَّف، وإنما هو :«سَرَاتُه» فسكت الأخفش ثم أقبل على القوم وقال :بل مصحِّف، وإنما هو شَوَاته، والشَّواةُ : جلدة الرأس (٢٣) .

والحقيقة أن هذا المثال يمكن أن ينطبق على التصحيف في النقط والرسم معًا، فحرفا السين والشين متشابهان، وكذلك الراء والواو يمكن وقوع اللَّبْس فيهما، والصواب ما قاله الأخفش والاحتكام إلى السياق يفصح عن ذلك، إذ لا معنى لقولهما : جلَّل الشيب سَرَاته، وإنما المراد أن الشيب قد علا رأسه، والمعنى على رواية أبي عمرو أن الشيب قد علا علْيَة القوم .

أما علي بن حمزة الأصفهاني (- ٣٧٦هـ) فقد ورد لديه مصطلح التصحيف في عشرة مواضع (٢٤) من كتابه «التنبيهات على أغاليط الرواة» (٢٥) وأراد به ما أراده حمزة من قبل، أي ما يقع من خطأ في الرسم والضبط والنقط. وخير مثال على هذه الأمور مجتمعة قوله:«وقال أبو عبيد : السُّبْجة وجمعها سِبَاج، وهي ثيابٌ من جلود، قال مالك بن خالد الهذلي :

... ... إذا عاد المسارحُ كالسباج

وهذا غلط وتصحيف، وإنما هي السُّبْحة والسِّباح، بالحاء» (٢٦) .

ونجد معنى التصحيف عند أبي أحمد العسكري (- ٣٨٢هـ) مماثلاً لما هو عند سابقَيْه، ولكننا نقف لديه على مصطلحين آخرين هما : التغيير والتبديل، ويبدو أنهما يختلفان في الدلالة عن مفهوم التصحيف الذي يمكن قصره على الخطأ في النقط والرسم. ومن خير الأمثلة على ذلك قوله : «وقد صحَّف الأصمعي في بيت الحطيئة من أوله إلى آخره، وكان ابن الأعرابي يرويه :

كفَوا سَنتين بالأصياف نقْعًا

على تلك الجفار من النقيّ

وقال الأصمعي يرويه :

كَفَوا سَنَتين بالأصياف بُقْعًا

على تلك الجفار من النفيّ (٢٧)

النون من (سَنِتين) مكسورة، والصاد من (الأصياف) غير معجمة، وتحت الباء من قوله (بُقْعًا) والجِفار، براء غير معجمة، والنفي بالفاء لا بالقاف ... وقال الأصمعي وأبو عبيد : إن هذه

القصيدة مدح بها الحطيئة عُيَيْنة بن حصنٍ الفَزَاري، وأنَّ بني عدي بن فزارة كانوا قد أجدبوا وصاروا يسقون لأصحاب الإبل إذا وردت في الصيف ويأخذون على ذلك أجرًا حتى تبقَّعتْ جلودهم. فلما غزا عيينة بن حصنٍ غزاتين في سنة وغنمَ وغنمَ أصحابه، أفضلوا على قومهم، فذكر الحطيئة قصة سقيهم والبقع التي كانت فيهم، وأن ذلك كان بالصيف» (٢٨) .

وقال أيضًا : «أملى يعقوب بن السكيت في شعر طرفة :

من عائدي [illegible] أم من يصيحْ ؟
تضحك عن مثل الأ[illegible]وى
[illegible] مكتّب سَماءٍ دَلوحْ

قال : فاستثبتُّه فيه فقال : «من قال : جَرَى، فقد صحَّف . فأخبرت بذلك الطوسي فقال : حَرَى، ومن قال : جَرَى فقد صحَّف» (٢٩) .

وهذا يبين أن ما كان له علاقة بالنقْط والرسم سمَّاه تصحيفًا، أما التغيير والتبديل فمن الأمثلة عليهما قوله في التعليق على قول الشاعر :

ألا أبلغْ أبا الحرَّين عني
بأن القومَ قد قتلوا أُبَيًّا

والصواب : أُبَيًّا ، قال : «وهذا من باب التغيير والتبديل» (٣٠). والتغيير حاصل في كلمة (أُبَيًّا) التي غُيرت من (فُعَيْل) إلى (فَعِيل)، وهما صيغتان مختلفتان معنى ومبنى، فبُدِّلَتْ إحداهما بالأخرى، فمن هنا سمَّى العسكري ذلك تغييراً .

الحواشي

١ - العين (صحف) .
٢ - الصحاح (صحف) .
٣ - تهذيب اللغة (صحف)، ٤ : ٣٥٤ .
٤ - أساس البلاغة (صحف) .
٥ - التكملة (صحف) ٤ : ٥١٠ .
٦ - القاموس المحيط (صحف) .
٧ - لسان العرب (صحف) .
٨ - تاج العروس (صحف) .
٩ - من المعلوم أن ابن فارس لم يعتدَّ في معجمه «مقاييس اللغة» بذكر المولَّد من الألفاظ .
١٠- تهذيب مستمر الأوهام : ٣ .
١١- التعريفات : ٨٧ .
١٢- كشاف اصطلاحات الفنون ٤ : ٢٣٨ .
١٣- نفسه .
١٤- نفسه .
١٥- صدر الكتاب عن مجمع اللغة العربية بدمشق سنة ١٩٦٨ ، بتحقيق المرحوم محمد أسعد طلس، ومراجعة عبدالمعين الملوحي وأسماء الحمصي .
١٦- التنبيه : ٢٦ .
١٧- نفسه .
١٨- نفسه .
١٩- نفسه، ص٢٧، ومن القائلين بهذا الرأي ابن السيد البطليوسي في كتابه (الاقتضاب)، ص١٦٧ .
٢٠- التنبيه : ١ ، ويُنْظر خبر هذا اليوم في كتاب «أيام العرب في الجاهلية»، ص٤٦ .
٢١- التنبيه : ٤٢ .
٢٢- يوسف / ٧٠ .
٢٣- التنبيه : ٧٩ .
٢٤- هذه المواضع في الصفحات : ٢٠٠ ، ٢٠١ ، ٢٠٨، ٢١٢، ٢٢٩ ، ٢٣٨ ، ٢٥١، ٢٥٣، ٢٩٥، ٣٥٠ .
٢٥- صدر الكتاب ضمن سلسلة ذخائر العرب، بتحقيق عبدالعزيز الميمني، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٧ .
٢٦- التنبيهات : ٢٠٨ .
٢٧- ديوان الحطيئة : ١٤٠ .
٢٨- شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف : ١٢٧ .
٢٩- نفسه ، ص٢٢٤ .

فهرس المصادر

١ - **أساس البلاغة** : الزمخشري، دار صادر، بيروت .

٢ - **تاج العروس** : المرتضى الزبيدي، مطبعة حكومة الكويت .

٣ - **التعريفات** : السيد الشريف الجرجاني، تحقيق عبدالرحمن عميرة، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٧ .

٤ - **التكملة والذيل والصلة** : الصاغاني، تحقيق عبدالحميد حسن وزميله، دار الكتب، القاهرة، ١٩٧٤ .

٥ - **التنبيه على حدوث التصحيف** : حمزة الأصفهاني، تحقيق محمد أسعد طلس، مراجعة أسماء الحمصي وعبدالمعين الملوحي، مجمع اللغة العربية بدمشق، ١٩٦٨ .

٦ - **التنبيهات على أغاليط الرواة** : علي بن حمزة الأصفهاني، تحقيق عبدالعزيز الميمني، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٧ .

٧ - **تهذيب مستمر الأوهام** : الخطيب البغدادي .

٨ - **ديوان الحطيئة** : دار صادر .

٩ - **شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف** : أبو أحمد العسكري، تحقيق السيد محمد يوسف، مراجعة أحمد راتب النفاخ، مجمع اللغة العربية بدمشق، ١٩٨١ .

١٠ - **الصحاح** : الجوهري، دار العلم للملايين .

١١ - **العين** : الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار الرشيد، بغداد، ١٩٨٠ .

١٢ - **القاموس المحيط** : الفيروزابادي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٥٢ .

١٣ - **كشاف اصطلاحات الفنون** : التهانوي، حققه لطفي عبدالبديع، وعبدالمنعم محمد حسين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٢ .

١٤ - **لسان العرب** : ابن منظور، دار المعارف، القاهرة .

سهما لما تعلوا الثنايا مكان ذري هوادجها البروج هو قدم وقف على ثوبان بحري
لها بالجزع من ملل وشجرة نوعة واد يلقي اضم من القبلة كما سبق قال الزبير عقبه وفي نوعة
يقول شبرا لسلمى ارجي إلى مستنحى لقاحها بنوعة نرجوا ان بها بلاء وذكر ابن شبة
في صدقات علي رضي الله عنه واد يقال له نوعة بناحية فدك بين لابتي حرة [illegible]
بين مكة والمدينة [illegible] واد بين المضايق وواد ينبع تشرير وادي يجيء [illegible]
بين ضليعها وقال بعضهم فيه السرير بلفظ السرير الذي يجلس عليه وهو خطا انشد ابو زياد
الكلابي اذا يعولون ما يشفيك قلت لهم دخان رمث من التسرير يشفيني تضارع بضم
اوله وضم الرا ولا نظير له وروي بكسر الرا ايضا ويقال بفتح اوله وضم الرا اسم جبل تضارع
المقدمة في العقيق وتضارع وتضرع ايضا جبلان لبني كنانة بتهامة او بنجد تعار بالكسر

الأعلام

الزنجاني*

المتوفى سنة (٦٦٠هـ)

حياته ومصنفاته

محمود يوسف فجال

أستاذ النحو والصرف

كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - الأحساء

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

عاش الإمام العلامة «عبدالوهاب الزنجانيّ» في القرن السابع، وكانت مسائل النحو قد أُشْبِعَتْ درسًا وتمثُّلاً وتعليلاً، ولم يبق إلاَّ المصنِّفُ الألمعيّ، والمدقق اللوذعيّ، الذي أحاط بالصناعة واستوعبها، والذي يجيد صياغة هذا الموروث الضخم ليفيدَ منه المبتدئ والمتوسِّط والمنتهي.

فجاء «الزنجاني» وهو إمام المنقول والمعقول فصنَّف كتابه «الكافي شرح الهادي» فجاء بديعًا في أسلوبه، مستوعبًا في مسائله، جامعًا لأبحاث النحو والصرف، بحرًا زاخرًا بالشواهد العربية.

كما أسهم في بسط مسائل العروض والقوافي والبلاغة بأسلوبه الرائع، وبيانه الساحر، وعرضه الجميل، في كتابه «معيار النُّظَّار في علوم الأشعار».

كما هو أديب متذوق للأدب، دارس فيه، حسن الاختيار، يلاحظ ذلك في كتابه «المضنون به على غير أهله».

فـ«الزنجاني» علمٌ من أعلام العربية، مبرزٌ في فنونها بالإضافة إلى ثقافته الشرعية.

وإليك نبذة عن حياته.

اسمه ونسبه:

«أبو المعالي، عبدالوهاب بن إبراهيم بن عبدالوهاب ابن أبي المعالي الخَرجي الزنجاني». هذا ما ذكره «الزنجاني» بخط يده في آخر كتابه: «الكافي شرح الهادي». والمشهور عند المترجمين بـ«عز الدين». والمؤلف منسوب إلى «زَنْجان»، وهو بلد مشهور بين الجبال(١) وأذربيجان.

مولده ونشأته:

لم أجد من حدَّد - منْ الذين ترجموا له - سنة ميلاده.

ولقد تربى في بيت علم وفضل، وتمرس على التصنيف مقتديًا بوالده، وسائرًا على منواله، ونزل «تبْريز»(٢)، واستوطن بها.

ثم قام برحلة إلى خراسان(٣)، وعبر النهر إلى «بخارى»، ورجع إلى تبريز. وكان قد أقام بالموصل، وكان مجاورًا في المدرسة القاهرية فيها، ثم انتقل إلى بغداد، وأمضى فيها بقية عمره.

شيوخه:

١ - والده «إبراهيم بن عبدالوهاب الزنجاني» الذي كان فقيهًا شافعيًا، وإمامًا لغويًا صرفيًا.

له شرح على «الوجيز» مختصر من شرح الرافعي، سماه: «نقاوة العزيز» في فروع الشافعية(٤).

٢ - «شمس الدين، أبو عبدالله، أحمد بن الحسين بن أحمد ابن معالي بن منصور بن علي» المعروف بـ«ابن الخبَّاز» الإرْبليّ الموصليّ، الضرير، النحوي(٥). و«الزنجاني» يكَنِّيه في «شرح الهادي» بـ«أبي العباس». نشأ بإربل، وتلقى العلم بالمَوْصل، واشتهر قدره.

كان إمامًا بارعًا، وأستاذًا مُفْتَنًا، علامة زمانه في النحو واللغة والشعر والعروض والفقه والفرائض.

وتوفي بالموصل سنة ٦٣٧هـ.

ولم أقف على غير هذَيْن من شيوخه.

علمه وراي العلماء فـ... :

شغف «الزنجانيُّ» منذ نشأته الأولى بكل العلوم، فضرب في كلِّ علمٍ بسهمٍ، وأخذ من كل فنٍّ بنصيب، فتلقى العلم عن شيخه «ابن الخباز» الذي لا يضارع ولا يجارى، لذا أجمع المترجمون على أنَّ «الزنجاني» كان إمامًا مبرزًا في علوم العربية.

قال عنه «ابن الفوطي» (٦): كان أديبًا حكيمًا، عارفًا بالمنقول والمعقول.

ووصفه «السيوطي» (٧) بأنه غاية في جودة الخط.

وكان عالمًا بالنحو واللغة والتصريف والعروض والقوافي والبلاغة والهيئة والرياضة. كل هذا بالإضافة إلى علوم التفسير والقراءات والفقه.

وفي «روضات الجنات» (٨): كان غزير العلم، جيد التصرف، سديد التأليف، حصين القول، مبين الكلام.

وذكر صاحب «تلخيص الآثار» ضمن ترجمته لـ «زنجان» ما يأتي: وينسب إليها الإمام الفاضل «عبدالوهاب ابن إبراهيم» الملقب بـ «عزالذين الزنجاني»، كان غزير العلم.

وفاته :

ذكر «ابن الفوطي» (٩) بأن وفاته كانت سنة ستين وست مئة ببغداد، وقيل: توفي سنة خمس وخمسين وست مئة من الهجرة.

مؤلفات الزنجاني :

خلَّف لنا «الزنجانيُّ» مجموعة قيِّمة من المؤلَّفات في اللغة والأدب والنحو والصرف والعروض والقافية والحساب والهيئة وغيرها.

وكتابه التصريف الموسوم بالعزي مألوف في الأقطار العربية والإسلامية من عهود سابقة، وله شهرة واسعة في عصره وبعد عصره، وأقبل عليه الطلاب يدرسونه ويحفظونه، حتى تناوله العلماء بالشرح والتحقيق.

وسأذكر مؤلَّفاته مر... ...جدياً :

١ - «التذكرة في علم الهـ...» (١٠).

٢ - «التذكرة المجدية» (١١).

٣ - «التصريف العزي» أو «العزي في التصريف» أو «مبادئ التصريف» أكمله في بغداد سنة ٦٥٥هـ. وهو مطبوع، وعليه شروح كثيرة.

٤ - «تلخيص المسائل التي أنشأها نظام الدين أحمد بن محمود الحصري» ذكره بروكلمان (١٢)، وأشار إلى وجود نسخة منه في برلين (١٣) (٣٥٦٤) رقم ٨.

٥ - «تلخيص المقياس» وهو شرح «القسطاس» في العروض للزمخشري (١٤). ذكره بروكلمان (١٥) باسم الشرح بـ «تصحيح المقياس».

٦ - «رسالة عن المربعات السحرية».
ذكرها بروكلمان (١٦). وأفاد بوجود نسخة منها في مكتبة فيض الله (١٧) (١٣٦٢) رقم ٥.

٧ - «شرح الأبيات المشكلات الأغراض» التي أنشأها «الحسن بن أسد الفارقي». ذكر بروكلمان: القاهرة أول ٤ : ٤٥٥ (١٨).
ومنه صورة في مكتبة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية عن تشستربتي. رقم الحفظ ف ٣٣١٨.

٨ - «فتح الفتاح في شرح المراح».
ذُكر في «هدية العارفين» (١٩) و«معجم المؤلفين» (٢٠).
ولا أدري أي مراح قام الزنجاني بشرحه، ولا يصح أن يكون «مراح الأرواح» الذي هو لـ «أحمد بن مسعود» الذي عاش في القرن الثامن أو التاسع الهجري (٢١) كما توهم بعضهم.

٩ - «قسطاس المعادلة في علم الجبر والمقابلة».
منه نسخة في مكتبة جستربيتي - دبلن. أوراقها ٢٢٦ق. وتاريخها ٦٤٣ : ١٢٤٥، وهي نسخة فريدة (٢٢).

١٠ - «الكافي شرح الهادي».
ذكر المؤلف في آخر نسخته أنه فرغ من تأليفه ببغداد في العشرين من ذي الحجة سنة أربع وخمسين وست مئة. وقد أنهيت تحقيقه سنة ١٣٩٨هـ = ١٩٧٨م

ونلت به درجة العالمية (الدكتوراه) في النحو والصرف، بمرتبة الشرف الأولى (٢٣). يوجد منه أربع نسخ خطية:
- نسخة (دار الكتب المصرية) في القاهرة. رقمها ٦٦ نحو / م.
وصفحاتها ٧٤٨، وهي بخط المؤلف.
- نسخة (مكتبة عارف حكمت) في المدينة.
وفي (معهد المخطوطات) التابع لجامعة الدول العربية صورة عنها بـ (الميكروفلم) رقم ٢٢٦.
- نسخة (مكتبة أحمد الثالث) في إستانبول. ورقمها ٢٢٨١. وفي (معهد المخطوطات) التابع لجامعة الدول العربية في القاهرة صورة عنها بـ (الميكروفلم) رقم ١٢٧ نحو.
- نسخة (دار الكتب المصرية). ورقمها ٢٠٠٢ نحو في ثلاثة أجزاء. وعدد صفحاتها ٢٤٢. كتبت سنة ١٣٥٢هـ.

١١- «**الكافية في الحساب**».
منه نسخة في موقوفة الحاج مولى نوروز علي البسطامي. كتبت سنة ٨٣٩ هـ. ومنه نسخة في النجف عتيقة ناقصة الآخر (٢٤).

١٢- «**المختصر في علم الأسطرلاب**».
ذُكر في «الموسوعة العربية الميسرة» (٢٥).
وأشار بروكلمان (٢٦) لوجوده في مكتبة ليدن (٢٧) ١٠٩١، وفي باتاقيا ثان ٦٢١.

١٣- «**المعرب عما في الصِّحاح والمُغْرب**».
أشار فيه بالصاد إلى الصحاح، وبالَميم إلى المغرب.
أتمه في صفر سنة ٦٣٧هـ في المدرسة القاهرية بالموصل (٢٨).

١٤- «**المضنون به على غير أهله**».
وهو مختارات شعرية، انتخب أبياتًا من دواوين العرب أحسن ما قيل نظمًا. وقد شرحه «عبيد الله بن عبدالكافي بن عبدالمجيد العُبَيْدي». نشره إسحاق بن يهودا بالقاهرة سنة ١٩١٣ - ١٩١٥ عن مخطوطة القدس، ديوان رقم ٢٢، بطرسبرج ثان ١٦٨ (٢٩).

١٥- «**معيار النُّظَّار في علوم الأشعار**».
وهو مختصر مرتب على ثلاثة أقسام: في العروض والقوافي والبديع. وقد أنهيت تحقيق القسم الأول والثاني منه سنة ١٤١٤هـ.
يوجد منه خمس نسخ خطية:
- نسخة (دار الكتب المصرية) في القاهرة، برقم ١٣٦م أدب.
- نسخة في (مكتبة كوپريلي) في إستانبول (١٣٩٢) رقم ١.
- نسخة في (مكتبة جستربيتي): دبلن. ناقصة.
- نسخة في (مكتبة الفاتح) في إستانبول ٤٠٩٤ ناقصة.
- نسخة في (مكتبة الأوقاف) في بغداد برقم ١٧٢٢ (٣٠).

١٦- «**الهادي**» وهو متن في النحو والصرف، و«**الكافي**» شرح عليه.

الهوامش

* انظر ترجمته في الكتب الآتية:
- «**الأعلام**» للزركلي (٤: ١٧٩).
- «**أعيان الشيعة**» (٣٩: ١٨٦).
- «**اكتفاء القنوع بما هو مطبوع**» لإدورد دكرنيليس فنديك.
- «**إيضاح المكنون**» (٢: ٥١٧).
- «**بغية الوعاة**» (٢: ١٢٢).
- «تاريخ آداب اللغة العربية» لجرجي زيدان (٣: ٤٥).
- «**تاريخ الأدب العربي**» لكارل بروكلمان (٥: ١٧٩، ٢٢٩).
- «**تلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب**» لابن الفوطي (٤: ٢٣٤، ٢٣٥).
- «**دائرة المعارف الإسلامية**» ترجمة

أحمد الشنتاوي وزميله مادة (زنجان) ج ١٠ .
- «روضات الجنات» (٥ : ١٧٣) .
- «الصحاح» (مقدمته) (١ : ١٦٥) .
- «كشف الظنون» : ١٣٢٦ ، ١٥٧٨ ، ١٦٥٠ ، ١٧٣٨ ، ١٨٦٩ ، ٢٠٢٧ .
- «معجم المؤلفين» (٦ : ٢١٦) .
- «معجم المطبوعات [illegible]ـبية» ليوسف إليان سركيس (ص : ٩٧٧) .
- «مفتاح السعادة» (١ : ١١٩) .
- «المورد» المجلد الرابع (١ : ٢٠٩) ، والمجلد الخامس (٤ : ٢٥٧) .
- «الموسوعة العربية الميس[illegible]» لمحمد شفيق غربال (ص : ٩٢٨) .
- «هدية العارفين» (١ : ١٢ ، ٦٣٨) .

١ - الجبال الواقعة ما بين أصبهان إلى زنجان وقزوين وهمذان والدينور وقرميسين والري . انظر «معجم البلدان» و«بلدان الخلافة الشرقية» (ص : ٢٢٠) .
٢ - من أشهر مدن أذربيجان .
٣ - وتشتمل على أمهات من البلاد ، منها : نيسابور ، وهراة ، ومرو ، وبلخ ، وطالقان ، ونسا ، وأبيورد ، وسرخس .
انظر «بلدان الخلافة الشرقية» (ص : ٤٢٣) .
٤ - انظر ترجمته في «[illegible]ـقات الشافعية» للسبكي (٨ : ١١٩) و«طبقات الشافعية» للأسنوي (٢/ : ١١) و«معجم المؤلفين» (٣ : ٢٢٩) .
٥ - انظر ترجمته في «البلغة» (ص : ١٩) و«بغية الوعاة» (١ : ٣٠٤) و«نكت الهميان» (ص : ٩٦) و«شذرات الذهب» (٥ : ٢٠٢) و«مرآت الجنان» (٤ : ١٠١) و«النجوم الزاهرة» (٦ : ٢٣٥) و«معجم المؤلفين» (١ : ٢٠٠) و«روضات الجنات» (١ : ٣١٤) و«الأعلام» (١ : ١١٤) و«تاريخ الأدب العربي» لبروكلمان (٥ : ٣٠٦) و«نشأة النحو» (ص : ١٨٠) و«تاريخ الأدب العربي في العراق» (١ : ١٥٧) .
٦ - «تلخيص مجمع الآداب» الجزء الرابع ، القسم الأول (ص : ٢٣٤ ، ٢٣٥) .
٧ - «بغية الوعاة» (٢ : ١٢٢) .
٨ - المصدر السابق (٥ : ١٧٣) .
٩ - «تلخيص مجمع الآداب» الجزء الرابع القسم الأول (ص : ٢٣٥) .
١٠ - المصدر السابق (ص : ٢٣٤) .
١١ - المصدر السابق و«أعيان الشيعة» رقم الترجمة ٨٧٩٩ .
١٢ - المصدر السابق (٥ : ١٨٤) .
١٣ - في جامعة أكسفورد .
١٤ - «كشف الظنون» (٤ : ٥١٤) .
١٥ - السابق (٥ : ٢٢٩) .
١٦ - نفسه (٥ : ١٨٤) .
١٧ - مكتبة فيض الله في إستانبول .
١٨ - (٥ : ١٨٤) وانظر مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق (٥ : ٩٧) .
١٩ - السابق (١ : ٦٣٨) .
٢٠ - نفسه (٦ : ٢١٧) .
٢١ - انظر «تاريخ الأدب العربي في العراق» (٢ : ١٤٦) .
٢٢ - انظر «المورد» المجلد الرابع (١ : ٢٠٩) .
٢٣ - بإشراف محمد رفعت محمود فتح الله وعضوية كل من محمد طه الزيني وعبدالسلام هارون - رحم الله الجميع ، وأسكنهم فسيح جناته .
٢٤ - انظر «الذريعة» (١٧ : ٢٤٩) .
٢٥ - السابق (ص : ٩٢٨) .
٢٦ - نفسه (٥ : ١٨٤) .
٢٧ - في هولندا .
٢٨ - انظر «تاريخ الأدب العربي في العراق» (١ : ٨٦) و«كشف الظنون» (ص : ١٧٢٨) و«هدية العارفين» (١ : ٦٣٨) .
٢٩ - «تاريخ الأدب العربي» لبروكلمان (٥ : ١٨٤) .
٣٠ - انظر «القسطاس» (ص : ٢٧٩) .

المصادر والمراجع

١ - الأعلام/ للزِّرِكْلي (١ - ٨) ٠ - ط٤ ٠ - بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٧٩م.

٢ - أعيان الشيعة / لمحسن الأمين ٠ - ط الإنصاف الأولى ٠ - بيروت، ١٣٧٥هـ .

٣ - اكتفاء القنوع بما هو مطبوع/ إدورد فنديك ٠ - ط الهلال ٠ - القاهرة، ١٨٩٦م .

٤ - إيضاح المكنون / لإسماعيل البغدادي ٠ - ط إستانبول، ١٣٦٤هـ .

٥ - بغية الوعاة / للسيوطي، تح محمد أبو الفضل إبراهيم ٠ - ط عيسى البابي الحلبي، ١٩٦٤م .

٦ - بلدان الخلافة الشرقية / لـ «كي لسترنج» ترجمة بشير فرنسيس، وكوركيس عواد ٠ - ط٢ ٠ - بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥هـ.

٧ - تاريخ آداب اللغة العربية / لجرجي زيدان - تعليق شوقي ضيف - دار الهلال .

٨ - تاريخ الأدب العربي/ لبروكلمان - ترجمة عبدالحليم النجار ٠ - ط٢ ٠ - مصر: دار المعارف، ١٩٧٧م.

٩ - تاريخ الأدب العربي في العراق/ لعباس العزاوي ٠ - ط المجمع العلمي العراقي، ١٣٨١هـ .

١٠ - تلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب / لابن الفوطي، تح مصطفى جواد ٠ - دمشق ١٩٦٥م .

١١ - روضات الجنات / للخوانساري. مصورة عن نسخة طبع العجم ١٣٤٧هـ .

١٢ - شذرات الذهب / لابن العماد ٠ - ط القدسي ٠ - القاهرة، ١٣٥٠هـ .

١٣ - الصحاح / مقدمته لأحمد عبدالغفور عطار ٠ - ط٣ ٠ - بيروت : دار العلم للملايين، ١٤٠٤هـ .

١٤ - طبقات الشافعية / للأسنوي، تح عبدالله الجبوري ٠ - بغداد ١٣٩١هـ.

١٥ - طبقات الشافعية الكبرى / للسبكي، تح محمود الطناحي وعبدالفتاح الحلو ٠ - ط١ ٠ - ط عيسى البابي الحلبي، ١٣٨٣هـ.

١٦ - القسطاس المستقيم في علم العروض/ للزمخشري، دراسة بهجة باقر الحسني ٠ - ط النعمان ٠ - بغداد، ١٣٨٩هـ.

١٧ - كشف الظنون / لحاجي خليفة ٠ - إستانبول، ١٣٦٠هـ.

١٨ - مرآت الجنان / لليافي ٠ - الهند ١٣٣٤هـ .

١٩ - معجم المؤلفين / لكحالة ٠ - بيروت: دار إحياء التراث العربي .

٢٠ - معجم المطبوعات العربية/ ليوسف سركيس ٠ - ط سركيس بمصر - ١٣٤٦هـ .

٢١ - مفتاح السعادة / لطاش كبري زاده، تح كامل بكري، وعبدالوهاب أبو النور ٠ - ط الاستقلال الكبرى ٠ - القاهرة ١٩٦٨م .

٢٢ - النجوم الزاهرة / لتغري بَرْدي، تح محمد حسين شمس الدين ٠ - بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٣هـ.

٢٣ - نكت الهميان / للصفدي ٠ - ط الجمالية، ١٩١١م.

٢٤ - هدية العارفين / لإسماعيل باشا البغدادي ٠ - إستانبول، ١٩٥١م .



شيخ الإسلام الحافظ ابن قدامة المقدسي

محمود ماضي

استاذ مشارك بكليتي
الآداب جامعة الزقازيق
والدعوة بالمدينة المنورة

حياته

هو عبدالله بن أحمد بن محمد بن قدامة بن مقدام بن نصر بن عبدالله المقدسي (١) ثم الدمشقي الصالحي. ولد في شعبان سنة ٥٤١هـ بجماعيل (٢) . وقدم دمشق مع أهله وله عشر سنين . فقرأ القرآن وحفظ مختصر الخرقي (٣) في الفقه ، ورحل إلى بغداد - في طلب العلم - هو وابن خالته الحافظ عبدالغني (٤) سنة ٥٦٣هـ . وفي بغداد سمع من هبة الله الدقاق ، والشيخ عبدالقادر الجيلاني - وتتلمذ عليه في الفقه - وأبي ذرمة ، وتفقه على مذهب الإمام أحمد وبرع وأفتى وناظر وتبحر في فنون كثيرة . ثم انتقل إلى مكة فسمع من المبارك بن الطباخ مدة يسيرة ، ثم توفي الشيخ ابن الطباخ فلازم أبا الفتح بن المنّي - بتشديد النون - وقرأ عليه المذهب وفن الخلاف والأصول حتى برع . ثم عاد إلى بغداد فأقام بها نحواً من أربع سنين ، ثم رجع إلى دمشق ثم إلى بغداد مرة أخرى سنة سبع وستين وخمس مئة من الهجرة .

وذكر الناصح ابن الحنبلي أن ابن قدامة حج سنة أربع وسبعين ثم رجع إلى بغداد حيث سمع درس ابن المنّي الحنبلي لمدة عام ثم رجع إلى دمشق حيث اشتغل بتصنيف (المغني في شرح الخرقي) - حتى صار فيما بعد من أقوى الحجج في المذهب الحنبلي - إلى أن مات فيها سنة عشرين وست مئة للهجرة وقد بلغ الثمانين .

آثاره العلمية

لقد ترك ابن قدامة مؤلفات عديدة في كثير من الفنون والمعارف ، وبصفة خاصة في الفقه .

قال الحافظ ابن رجب في طبقات الحنابلة : له التصانيف الكثيرة الحسنة في المذهب - الحنبلي - فروعًا وأصولاً في الحديث واللغة والزهد والرقائق . وتصانيف في أصول الدين في غاية الحسن .

من تصانيفه في أصول الدين :

١ - البرهان في مسألة القرآن .

٢ - جواب مسألة وردت من صرخد في القرآن .

٣ - الاعتقاد أو لمعة الاعتقاد .

٤ - مسألة العلو - جزآن .

٥ - ذم التأويل .

٦ - كتاب القدر - جزآن .

في الفقه :

١ - العمدة .

٢ - الكافي في فقه الإمام المبجل أحمد بن حنبل .

٣ - المقنع .

٤ - المغني . وهو أشهر كتبه الفقهية على الإطلاق .

وكتاب المغني - كما يقول ابن قدامة - شرح مختصر (الخرقي) (٥) حيث جعل الشرح مرتبًا على مسائله وأبوابه ثم تبع ذلك بما يشابه هذه المسائل

والأبواب مما ليس في الكتاب .

وكتاب المغني يقع في أربعة مجلدات وهو من أهم كتب الفقه المقارن ، ولعل أهم ما يمتاز به المغني - فيما يقول الشيخ رشيد رضا : إنه لخص لنا مذاهب فقهاء المسلمين المجتهدين بأدلتها في أمهات الأحكام ومهمات المسائل فأغنانا عن مراجعة كتب المذاهب الكثيرة (٦) وميزة أخرى تتجلى بعد ذلك أنه لا يتكلف الطعن في أدلة من خالف الحنابلة بمعنى أنه لم يتقيد بالإطار الحنبلي ولكنه ناقش في حرية واسعة كل آراء المذاهب الأخرى وكثيرًا ما كان يتفق مع بعضها .

قال الشيخ عز الدين بن عبدالسلام : ما رأيت في كتب الإسلام في العلم مثل المحلّى والمجلّى لابن حزم وكتاب المغني للشيخ موفق الدين ابن قدامة في جودتهما وتحقيق ما فيهما (٧) .

وقد أثنى على المقدسي غير واحد من الأئمة وكبار علماء الإسلام :

١ - فقال الإمام محمد بن أبي الفتح بن أبي الفضل البعلي . تلميذ المقدسي : . . وكان شديد التواضع حسن الأخلاق والشيم ، ذا رأي ومعرفة (٨) .

٢ - وقد أجمع العلماء على إمامة المقدسي وعلو قدره . قال الحافظ عمر ابن الحاجب : هو إمام الأئمة ، ومفتي الأمة خصه الله بالفضل الوافر . . والعلم الكامل . . وقد أخذ بمجامع الحقائق النقلية والعقلية ، فأما الحديث فهو سابق فرسانه وأما الفقه فهو فارس ميدانه (٩) .

٣ - قال ابن النجار : . . كان إمام الحنابلة بجامع دمشق وكان ثقة وحجة نبيلاً غزير الفضل ونزيهًا ورعًا عابدًا على قانون السلف .

٤ - قال عنه الإمام ابن تيمية : ما دخل الشام بعد الأوزاعي أفقه من الشيخ الموفق . وقد أفرد الحافظ ضياء الدين المقدسي سيرته في جزأين وكذلك أفردها الذهبي (١٠) .

٥ - قال الضياء : كان رحمه الله إمامًا في التفسير وفي الحديث ومشكلاته ، إمامًا في الفقه بل أوحد زمانه إمامًا في علم الخلاف ، أوحد في الفرائض ، إمامًا في أصول الفقه ، إمامًا في النحو والحساب والأنجم السيارة والمنازل (١١) .

٦ - وقال عنه ابن كثير : « . . . إمام عالم بارع ، لم يكن في عصره ، بل ولا قبل دهره بمدة أفقه منه» (١٢) .

٧ - وقال الشافعي : «إن لم يكن العلماء العاقلون أولياء الله فلا أعلم لله وليًا» (١٣) .

وتحدث البعض عن كرامات ابن قدامة ، قال سبط ابن الجوزي حكى أبو عبدالله بن فضل الأعناكي قال : قلت في نفسي : لو كان لي قدرة لبنيت للموفق مدرسة وأعطيته كل يوم ألف درهم ، قال فجئت بعد أيام فسلمت عليه فنظر إلي وتبسم وقال : إذا نوى الشخص نية كتب له أجرها (١٣) .

أهم آرائه وأفكاره

تعددت آراء ابن قدامة وتشعبت بتعدد آثاره العلمية وتنوعها :

١ - الإيمان : تابع ابن قدامة السلف في تعريفه للإيمان ، فالإيمان قول باللسان وعمل بالأركان وعقد بالجنان كما أنه يزيد وينقص .

٢ - الصفات : ذهب الحنابلة إلى إثبات الصفات بلا كيف يقول الإمام أحمد : [لا نصف الله بأكثر مما وصف به نفسه بلا حد ولا غاية ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾ (١٤)] (١٥) .

والسلف متفقون على الإقرار والإمرار والإثبات لما ورد في كتاب الله والسنة من غير تعرض لتأويله ، غير أن ابن قدامة قال : نجري آيات الصفات على ظاهرها ونفسرها على مقتضى اللغة . فالله تعالى «موصوف بما وصف به نفسه في كتابه العظيم وعلى لسان نبيه الكريم ، وكل ما جاء في القرآن أو صح عن المصطفى عليه الصلاة والسلام من صفات

الرحمن، وترك التعرض له بالرد والتأويل والتشبيه والتمثيل، وما أشكل من ذلك وجب إثباته لفظًا وترك التعرض لمعناه ونرد علمه إلى قائله» (١٦).

٣ - الاستواء: من ذلك أيضًا مسألة الاستواء يرتضي ابن قدامة قول الإمام مالك: الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة.

٤ - الرؤية: أما مسألة الرؤية فإن ابن قدامة يوافق أهل السنة والأشاعرة في رؤية المؤمنين ربهم يوم القيامة بأبصارهم مستدلاً بآيات الكتاب نحو قوله تعالى: ﴿وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة﴾ (١٧) وقوله تعالى ﴿كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون﴾ (١٨) لأنه لما حجب أولئك في حال السخط دل على أن المؤمنين يرونه في حال الرضا وإلا لم يكن بينهما فرق (١٩).

٥ - كلام الله تعالى: من المعروف أن المعتزلة أثاروا مسألة كلام الله تعالى وهل هو قديم أم مخلوق، وذهبوا إلى القول إن القرآن مخلوق، أما الأشاعرة فقد فرقوا بين الكلام النفسي والكلام اللفظي، والأول عندهم قديم أما الثاني مخلوق.

أنكر الإمام أحمد (٢٠) [أن يكون القرآن مخلوقًا، القرآن كلام الله غير مخلوق، وكلام الله حرف وصوت وهو منزل من السماء والمكتوب في المصحف كلام قديم. ويرى ابن قدامة رأي إمام المذهب الحنبلي، يقول: إن الله تعالى متكلم بكلام قديم يسمعه منه من يشاء من خلقه. سمعه موسى عليه السلام منه من غير واسطة ﴿. . وكلم الله موسى تكليمًا﴾ (٢١)] (٢٢) هذا فضلاً عن اجتهادات ابن قدامة الفقهية في كتابه (المغني في شرح الخرقي) والذي فضله ابن عبدالسلام على كتب الشافعية وكان من أجل علمائهم.

الهوامش

١ - نسبة إلى بيت المقدس.

٢ - قرية تقع على جبل نابلس بالأرض المقدسة.

٣ - هو أبو القاسم عمر بن الحسين بن عبدالله ابن أحمد الخرقي (ت ٣٣٤هـ).

٤ - سير أعلام النبلاء جـ٢٢، ص١٦٦ تحقيق بشار عواد معروف، محيى هلال السرجاني مؤسسة الرسالة ١٩٨٥م. وابن عماد الحنبلي: شذرات الذهب في أخبار من ذهب جـ٥ مؤسسة دار الآفاق الجديدة - بيروت. ومقدمة كتاب الكافي لابن قدامة جـ١، ط٢ المكتب الإسلامي. وذيل طبقات الحنابلة لابن رجب جـ٢، ص١٣٣ مطبعة السنة المحمدية سنة ١٣٧٢هـ.

٥ - ابن قدامة: المغني جـ١، ص٢ مكتبة الجمهورية.

٦ - رشيد رضا: مقدمة كتاب المغني ط المنار سنة ١٣٦٧هـ.

٧ - ابن كثير: البداية جـ١٣ ص١٠٠ - دار الفكر العربي بيروت، ابن رجب الهوامش على طبقات الحنابلة، تحقيق د. محمد حامد الفقي ط السنة المحمدية ١٩٥٣م.

٨ - مقدمة المغني جـ١ ص٨.

٩ - سير أعلام النبلاء جـ٢٢، ص١٦٧.

١٠ - أحمد حسن رجب: مقدمة كتاب الاعتقاد لابن قدامة ص٦ ط ملحق مجلة الأزهر - ربيع الآخر ١٤٠٧هـ.

١١ - سير أعلام النبلاء جـ٢٢، ص١٧٠.

١٢ - ابن كثير: البداية والنهاية جـ١٣، ص١٠٠ مصدر سابق.

١٣ - مقدمة المغني لابن قدامة جـ١، ص٧ - مكتبة الكليات الأزهرية.

١٤ - الشورى: الآية ١١.

١٥ - ابن قدامة: الاعتقاد ص١٢ تحقيق محمد السيد أمين.

١٦ - ابن قدامة: المصدر السابق ص١٣، ١٤.

١٧ - القيامة: الآيتان ٢٢ - ٢٣.

١٨ - المطففين: الآية ١٥.

١٩ - ابن قدامة: السابق ص٢١.

٢٠ - الإمام أحمد بن حنبل: الرد على الزنادقة ص٢١، ٢٢ ط الإمام بمصر.

٢١ - النساء: الآية ١٦٤.

٢٢ - ابن قدامة: السابق.

مراجعات

انتربولوجية الصورة والشعر قبل الإسلام

لقصي الحسين

أحمد علي محمد

جامعة الكويت

الحسين، قصي/ انتربولوجية الصورة والشعر قبل الإسلام ·- بيروت: الأهلية للنشر، ١٩٩٣م ·- ٤٥٠ص .

تمهيد

نحتْ طائفةٌ من الدراسات النقدية المعاصرة في تفسير ظواهر الفن في الشعر الجاهلي نحواً أسطوريّاً، وإن كنت لا أنتوي التعرض إلى ذكر هذه الدراسات بصورة مفصلة إلا أنني مضطر إلى ذكر واحدة منها على الأقل وهي «الصورة في الشعر الجاهلي» لنصرت عبدالرحمن؛ لأنه سبق الباحث الذي نحن بصدد الحديث عن دراسته إلى المنهج الأسطوري في تفسير ظواهر الشعر الجاهلي .

ولستُ ممن يميل إلى الترجيح أن قصي الحسين لم يطلع على هذه الدراسة، وإن غاب ذكرها عن ثبت مصادره ومراجعه؛ لأن ما جاء به لا يختلف عما جاء به نصرت عبدالرحمن مع اختلاف عنوان كتابيهما (١)، لكن الحافر وقع على الحافر في كثير من المواضع، إن جاز هذا التعبير هنا، ومع ذلك صرفت همي، في هذه المقالة الوجيزة، عن تتبع مواضع التشابه والاختلاف لظني أن كتاب قصي الحسين خاصة، وتطبيق المنهج الأسطوري على الشعر الجاهلي عامة، يثير قضايا خطيرة قد تؤدي بروعة هذا الأدب، وتفرغه من محتواه، وتقضي على خصوصيته كونها تدرسه وفق منهج غريب عن طبيعته وعن روحه .

الكتاب

صدر كتاب «انتربولوجية الصورة والشعر قبل الإسلام» في بيروت عن الأهلية للنشر سنة ١٩٩٣م وضم الكتاب نحو (٤٥٠) صفحة من القطع الكبير .

لقد سعى قصي الحسين في هذا الكتاب، مدفوعًا باعتقاد وصفه في فاتحة كتابه بقوله : «كان هذا الاعتقاد يقوى في نفسي كلما قرأت الشعر الجاهلي، مما شكل في أعماقي هاجسًا لم أفلت منه رغم علمي المسبق بأن مثل هذا الاعتقاد محفوف بالمخاطر من جميع الجوانب، لأنه يشكل نظرة جديدة وكل جديد محفوف بأخطار الحماسة الانفعالية» (٢) إلى صناعة تمثال من الشعر الجاهلي فيه من القداسة ما للآداب الوثنية من التماثيل الأسطورية المقدسة، وقد دفعه ذلك إلى اقتباس ما يصلح وما لا يصلح من الأفكار الغريبة عن طبيعة الشعر الجاهلي، وقد زين له اعتقاده أنّ ما جرى في الآداب العالمية من أساطير وتماثيل مقدسة جرى بالضرورة في الأدب الجاهلي .

ومع أنّ المؤلف لم يدخر جهدًا في وصف بحثه بالجدة والتفرد إلا أنني مازلت أعتقد أن موضوعه ومنهجه ليسا بجديدين؛ لأن نصرت عبدالرحمن قد سبقه إلى تطبيق المنهج الأسطوري، مع خطورته، على الأدب الجاهلي، وسبقه إلى تلقف أفكار الباحثين

الغربيين والتماس ما يؤيدها في الأدب الجاهلي .

ولعل أهم ما ينبغي أن يشار إليه في كتاب قصي الحسين «انتربولوجية الصورة والشعر قبل الإسلام» هو نظرته الجزئية إلى بعض معاني الآيات الكريمة بمعزل عن سياقها، والنظرة الجزئية إلى بعض المعاني الشعرية بعيدًا عن المعنى المجمل للقصيدة، وهذا كله خلل أثر في سلامة النتائج التي عرضها البحث .

عرض الكتاب ونقده

«ماهو أصلُ الصورة في الشعر الجاهلي؟» هذا هو السؤال الذي كلف المؤلف نفسه عناء الإجابة عنه في كتابه «انتربولوجية الصورة والشعر قبل الإسلام» ، ومع أنّ الإجابة عن هذا السؤال ليست بتلك الخطورة التي توهمها المؤلف؛ أقصد ليست بذات خطورة إذا تجرد المؤلف عن عقائده وأفكاره السابقة، فإن توخي الموضوعية ينجي من كل هذه المخاطر، ولكن المؤلف مضى في كتابه مطاردًا بمخاوفه التي أثقلته فأخذ يصرح بها بين حين وآخر كقوله : «غير أنّ إيماني بهذه النظرة التي تدرس الشعر الجاهلي على قاعدة ارتباطه الوثيق بالحياة الدينية الأسطورية جعلني أقبل المغامرة لإثبات الحقيقة التاريخية التي تقول بازدهار الحياة الروحية عند العرب وغيرهم من الأمم القديمة، وبأن جميع الصور المادية التي ظهرت في أشعارهم كان هدفها شرح المعاني المجردة، فالآلهة تحتاج إلى صورة حتى يسهل على العامة تصور معنى الألوهية . . . لذلك بدأ يلح عليّ السؤال التالي :

ما هو أصل الصورة في الشعر الجاهلي ؟»(٣) .

ومن الملاحظ أن قلق الباحث إنما يصدر من خطورة اعتقاده الذي صرح به في مقولته الآنفة، وفحوى هذا الاعتقاد أن ثمة محركًا روحيًا لبناء الصورة في الشعر الجاهلي على شاكلة الشعوب الأخرى التي جسدت بفنونها المختلفة صور الآلهة، وصاغت كثيرًا من المعاني الروحية في أنماط حسية تسعف على تمثلها وفهمها . من هنا بدا اهتمام الباحث مركزًا حول معنى الصورة والإحاطة برمزها بعد أن زعم أنّه كشف أصلها في ضوء هذا الاعتقاد الذي صرح به، وعلى هذا الأساس توزعت موضوعات كتابه على بابين كبيرين :

الباب الأول تحدث فيه عن مفهوم الصورة، فجعل فصلاً من هذا الباب مختصًا بالحديث عن أصل الصورة في التكوين، وآخر عن علاقة الصورة بالأسطورة، وثالثًا عن ماهية الصورة، ورابعًا عن الصورة البلاغية .

وأما الباب الثاني وهو مرتكز الدراسة وغايتها، فقد قسمه إلى أربعة فصول بدأها بتفسير صورة المرأة في الشعر الجاهلي، ثم صورة الحيوان، والصورة الجدارية وانتهى ببنية الصورة ، وبهذا أنهى هذا الباب الذي سماه الصورة في الشعر الجاهلي(٤) .

ومن خلال قراءة هذا البحث يكتشف المرء أن المؤلف اعتمد كلية على آراء المستشرقين التي تناولت الحديث عن طبيعة الشعر الجاهلي، ومن الطبيعي أن ينساق البحث برمته وراء هواجسهم دون أن يحاول امتحان هذه الآراء وتلك الهواجس، فكان الكاتب في هذا البحث يمتلك رؤى جاهزة وأفكارًا مسبقة سبقه إليها عدد من المستشرقين وغيرهم كما ستبين هذه المقالة الوجيزة .

أبدى الباحث استعدادًا لتطبيق آراء «سلفستردي ساسي وبوخر ونيلوس» التي تصدرت صفحات بحثه الأولى، ثم جاء عرضه لهذه الآراء على صورة مسلمات لا تحتاج إلى مناقشة، وهذا ما حجب عنه الحقيقة، فعانت دراسته من تعاظم الخطأ في التحليل كلما توغل في الدراسة .

لقد تقيد المؤلف ، وهو يتحدث عن أصل الصورة ومدلولاتها في الشعر الجاهلي، بمثال قبسه من الآداب

الغربية القديمة، وهو المثال الذي يصور أنّ وراء كل ظاهرة من ظواهر الفن اعتقاداً أسطورياً، ومن هنا بدا متحمساً لإخضاع النماذج الفنية الجاهلية لهذا الاعتقاد بصورة قسرية، وقد اضطره هذا الأمر إلى اجتزاء بعض المعاني الخاصة والأمثلة المفردة لتأكيد فكرته، مع أن هذه الأمثلة لا تصلح لبناء أحكام نقدية شاملة .

وهذه الملاحظة تشمل جوانب دراسته كافة، ولهذا سنكتفي بالإشارة إلى عدد من المواضع التي تبين فساد كثير من الأحكام النقدية التي توصل إليها المؤلف في معرض حديثه عن الصورة في الشعر الجاهلي .

١ - صورة الشجرة المقدسة :

تحت عنوان الصورة المقدسة أورد المؤلف قول «لوسيف» في كتابه «الميثولوجيا القديمة» : «أنّ ثمة شجرة بلوط مشهورة جداً في لندن، وهي منذورة للإله زيوس، وتعتبر من أقدم وأبرز المنبئات، كان المؤمنون يتلقون النبوءات من حفيف أوراق هذه الشجرة، ومن خرير الماء المنساب بقربها، ومن هديل الحمام بين أوراقها، ويمكن التأكيد بكامل الثقة أنّ هذه الشجرة لم تكن في البداية شجرة الإله زيوس، بل زيوس نفسه في صورة شجرة البلوط» (٥) .

وبما أن الباحث مدفوع إلى الاعتقاد، كما ذكر في مقدمة كتابه (٦) «بأن ما جرى من أسباب على فن الشعر عند جميع الأمم البدائية كان قد جرى على فن الشعر عند العرب» (٧)، فإنه من الضروري أن يكون للعرب الجاهليين شجرة يقدسونها، كما إن للإنجليز شجرة يقدسونها، لهذا دأب في البحث عن هذه الشجرة التي ترقى عند العرب الجاهليين إلى حد التقديس، فكانت في وهمه شجرة الحديبية، وإليك قوله : «إنّ شجرة البلوط في لندن التي اكتسبت صفة طقسية معينة في المجتمع الأوربي القديم شبيهه بشجرة الحديبية المقدسة عند العرب قبل الإسلام» (٨).

وبما أن المؤلف يحتاج إلى مزيد من الدلائل لإثبات وجه الشبه بين الشجرتين هذا من جهة، ولفت انتباه القارئ إلى قدسية هذه الشجرة من جهة ثانية، فإنه لم يتورع عن الاستشهاد بقوله تعالى : ﴿لقد رضي اللهُ عن المؤمنين إذْ يبايعونَكَ تحت الشجرة﴾ (٩) منصرفاً عن الإشارة إلى مراد الآية الكريمة، الذي يتحدد كما يقول النسفي في تفسيره «ببيعة الرضوان التي سميت بهذه الآية وقصتها مشهورة» (١٠) فالآية لم تعن بالشجرة، ولم تكن الشجرة مقصودة بمعنى الآية أساساً، وإنما المقصود بها بيعة الرضوان، غير أن المؤلف نظر إلى كلمة الشجرة الواردة في هذه الآية وفي همه أن مجرد ذكرها في هذه الآية هو دليل قدسية الشجرة، ولم يكلف نفسه مشقة النظر في معنى الآية الكلي، ولهذا سارع إلى القول في حاشية الصفحة (٣٣) من كتابه «وشجرة الحديبية هي المعنية بالآية ١٨ سورة الفتح» ولكن الباحث لا يلبث أن يناقض نفسه فيورد في متن الصفحة الآنفة خبراً عن ياقوت الحموي وهو أن عمر ابن الخطاب، رضي الله عنه، أمر بقطع شجرة الحديبية خوفاً من أن تتحول صورتها من معنى إلى معنى فتصبح ربة من ربات العرب أو إلهة من آلهتهم (١١) .

ومما يبين وهن فكرة المؤلف، فيما يتعلق بقداسة شجرة الحديبية أنه لم يورد مثالاً واحداً يدعم هذه الفكرة من الشعر الجاهلي الذي هو بصدد الحديث عن رموزه وأساطيره الوثنيةوأما اهتمامه بكلمة (الشجرة) في الآية السابق ذكرها لم يكن في الحقيقة سوى نقض لهذه الفكرة، وليس دليلاً على إثباتها، لسبب بسيط وهو أن الحديبية وشجرتها لم تشتهر إلا في الإسلام، ولا تعني بالنسبة للمسلمين شيئاً لولا ارتباطها ببيعة الرضوان وهو المعنى الذي أشارت إليه الآية، بمعنى أن هذه الشجرة لا تعني للعرب قبل الإسلام - في العهد الوثني - شيئاً، فما هو مؤشر قداستها عند العرب قبل الإسلام ؟ !

٢ - صورة المرأة البدينة :

قدم الباحث تحت هذا العنوان صوراً مختلفة للمرأة البدينة في الشعر الجاهلي، وقد هاله وهو ينظر إلى مقدمات القصائد الجاهلية تعرض الشعراء الجاهليين لذكر الناقة في نهايات مقدماتهم الطللية خصوصًا . وانبرى يعلل هذه الظاهرة، متناولاً في التفسير قول المازني :

وإذا خليلك لم يدم لك وصلُهُ

فاقطع لبانته بحرف ضامر

وتساءل الباحث عن إقحام الشاعر الجاهلي وصفَ الناقة في حديث الذكرى والغزل، ولم ينسَ أن يعرض تعليق بعض الباحثين على وصف الناقة أثناء المقدمات الطللية، فهو يعرض مثلاً رأيًا لمصطفى ناصف فحواه : «إنّ الصلة مقطوعة بين قصة الخليل وقصة الناقة» وكأنه يعرّض برأي هذا الدارس ولا سيما فيما يتعلق بتفسير هذه الظاهرة «أنّ الناقة ليس إلا صورة خيالية صنعها العقل والإبداع» (١٢) وبعد ذلك يقول قصي مفسراً ومنتقداً مَنْ سبقه : «لم يفطن الباحثون إلى أنّ صورة هذه الناقة التي استحضرها الشاعر لم تكن إلا صورة للمرأة الخليل المعبودة التي افتقدها وخسرها» (١٣) .

لقد غفل الباحث عن الالتفات إلى قضايا الفن في القصيدة الجاهلية، تلك القضايا التي استحالت بعامل التقليد إلى أنماط تتكرر باطراد في إنتاج الشعراء، ومن ثم فإنّ الشاعر الجاهلي مدين لسابقه بكثير من الصيغ الفنية، من هنا برزت قضية التكرار في الشعر الجاهلي، وهذه المسألة غدت مع تقادم الأزمنة عادة فنية التزم بها الشعراء في الأعصر اللاحقة . وقد آلفتْ هذه الصيغ المتشابهة ما يعرف برسوم القصيدة العربية، حتى باتت جزءاً من منطقها، فوصفُ الناقة في نهايات المقدمات الطللية يُسمى تخلصًا وانتقالاً، بمعنى أنه صيغة فنية تمكّن الشاعر من الانتقال إلى موضوع آخر في قصيدته، فقد جرت العادة أن ينتقل الشاعر من موضوع إلى موضوع بواسطة الحديث عن الناقة، بوصفها مسوغًا منطقيّاً يقنع السامع بآلية الانتقال؛ لأن الانتقال حركة وتغير من حالة الثبات إلى الحركة ، والأمثلة على ذلك أكثر من أن تحصى، وإليك قول طرفة بن العبد (١٤) :

وإني لأمضي الهم عند احتضاره

بعوجاء مرقال تروح وتغتدي

ويقول عنترة (١٥) :

هـل يبلغـني دارهـا شدنيـة

لعنت بمحروم الشراب مصرّم

وقول النابغة (١٦) :

فعد عما ترى إذ لا ارتجـاع لـه

وانم القتود على عيرانة أجـد

فهل صور الناقة عند هؤلاء الشعراء هي صور للنساء المعبودات اللواتي خسرهن الشعراء ؟ !! وماذا يقول الباحث في حديث الشعراء العباسيين عن الناقة في خواتيم مقدمات الطلل، كقول أبي نواس مثلاً (١٧) :

فلما بدا لي اليأس عديت ناقتي

عن الدار واستولى عليّ عزائي

الحقيقة أن هذه القضية لا تحتمل أكثر من كونها تخلصًا وانتقالاً، فقد جرى الشعراء على هذا الأسلوب منذ العهد الجاهلي كما يقول العسكري : «كانت العرب في أكثر شعرها تبتدئ بذكر الديار والبكاء عليها والوجد بفراق ساكنيها، ثم إذا أرادت الخروج إلى معنى آخر قالت : دع ذا، وسل الهم، وربما تركوا المعنى الأول وقالوا : وعيس أوهوجاء . . . » (١٨) وقد ظل هذا الأسلوب متبعًا حتى العصر العباسي، حيث دعا الشعراء إلى نبذه والخروج عليه، ومما يدل على ذلك قول أبي تمام (١٩) :

دع عنك دع ذا إذا انتقلت إلى المد

ح وشـب سـهلَهُ بمقتضبـه

ومع أن مثل هذه الحقيقة لا تحتاج إلى كبير شرح وتفسير لوضوحها؛ فإن الباحث وقف متأملاً جوانبها لا

لشيء إلا ليقدم تعليلاً جديدًا لها في ضوء ما فهمه من كتاب «بيري» المسمى «آفاق القيمة» وخصوصًا مقولته: «إنّ الفن الجميل هو في النهاية الفن النافع» (٢٠) يقول الباحث: «وبالعودة إلى المفهوم التراثي لصورة المرأة، نجد أنّ الرجل لم يكن ينظر إليها بمعزل عن مفهوم بيري في القيمة النفعية والقيمة الجمالية معًا، فالعرب كانت تقول للرجل إذا أعرس بامرأة بنى بها، لأنه كان يستقل بها في بيت معين، يؤدي له وظيفة حياتية معينة . . .» (٢١).

وفي ضوء هذه المنفعة نظر الباحث إلى صورة المرأة في الشعر الجاهلي، فكانت صفة الامتلاء والضخامة مؤشرين على الخصوبة والتقديس عنده لارتباطهما بآفاق القيمة، وقد تجاهل صفات الضمور والرشاقة؛ لأنها في رأيه صفات جمالية ولكنها غير نافعة!

٣ - صورة المرأة الم... :

لقد دأب المؤلف في البحث عن (تمثال فينوسات لوسيل) في الشعر الجاهلي، فتوقف عند مثلٍ من شعراء امرئ القيس (٢٢):

برهرهةٌ كالشمس في ... صحوها
تضي... ...لام البيت في ليلة الدُّجى
أسيلةُ مستن الوش... كأنما
تك... أوراكها هابر النقا
مضمخةُ الأردان س... ...ديثها
لطيف... الكشح وهنانة الخطا

وقد تأمل الباحث هذه الصورة فقال: «فالشاعر كما يظهر لنا من خلال هذه الأبيات، يكاد يقيم لنا تمثالاً لامرأة من "فينوسات لوسيل" مصورًا من كلمات، نراه يركز على تصوير الأعضاء الأنثوية التي تؤدي وظيفة الخصوبة، تاركًا الوجه بلا ملامح، إذْ يربطه بالشمس مباشرة، ثم ينصرف إلى إكمال الملامح الجسدية . . .» ويخرج بعد تحليله هذا إلى القول: «واتصال صورة المرأة بالكثير من العناصر والصفات المقدسة. كثير الشيوع في الشعر الجاهلي، فغالبًا ما تجد محبوبة الشاعر تتنامى في أجواء طقسية ذات طابع احتفالي» وفي معرض حديثه عن تشبيه الشعراء المرأة بالظبية «الحديث عن الظبية ليس إلا استكمالاً للحديث من خلال نظيرتها المقدسة» يعني بنظيرتها المقدسة المرأة، ويتم الباحث أجواء القداسة المزعومة التي يرسم الشاعر الجاهلي صوره فيها فتبدو في حديثه عن «عزيف الجن وصرير الريح الحادة في الفلاة، فليس إلا من قبيل اسحضار الأجواء الملائمة للمشهد الاحتفالي الذي تشكل بعناية فائقة من أجل المحافظة على النمط المقدس . . .» (٢٣).

لا شك أنّ المؤلف مصمم على رسم عالم زاخر بالسحر والأرواح المقدسة، وقد صور الشعراء الجاهليين فيه على شاكلة الكهان الذين يؤدون طقوسهم وأناشيدهم في جو مفعم بالقداسة والروحانية، من هنا بدا للمؤلف أن كلّ ما يتفوه به الشعراء صادر عن عبادة وتقديس، فالمرأة التي جرى ذكرها على ألسنتهم معبودة مقدسة، والناقة التي يركبونها مقدسة، والظبية مقدسة، والشمس التي يشبهون حسناواتهم بها مقدسة . . !

لقد خلع الباحث ثوبًا من القداسة على كل ما قاله الشعراء الجاهليون، وليس عجيبًا أن يبدو امرؤ القيس عنده كاهنًا متعبدًا على الرغم من تهالكه على المجون وتكالبه على اللذة وشغفه بتصوير نداء الغريزة في كثير من غزله، فهل حقّاً كان امرؤ القيس مقدسًا المرأة الضخمة والناقة والظبية والشمس؟!

إنّ امرأ القيس كغيره من شعراء الجاهلية، وصف انفعاله بجمال الكون، وقد تبدت صور ذلك في شعره، فمنها ما كان للمرأة ومنها ما كان لغيرها، وهو على كل حال لم يبالغ في وصف المرأة، أو تصل عنده إلى درجة التقديس، فكيف يقدس امرؤ القيس المرأة، وقد رسمها على هذا النحو التي هي في شعره؟

من المعروف أنّ امرأ القيس قد قدم نماذج مختلفة لصور المرأة في شعره، ورسم خطوطًا مختلفة لجمالها، ولكنه لم يتحدث عن جمالها على سبيل الإطلاق، وإنما جاء وصفه لجمالها مقيدًا، بمعنى أنه حين أشار إلى ضخامتها، كما فهم الباحث، لم يرد من ذلك الامتلاء أنه رمز للخصوبة والنماء بقدر ما كان يريد أن هذه الصفة تملأ حسه الجمالي ليس أكثر. ومع ذلك فقد كان ينزع باستمرار إلى تقييد وصفه لجمالها، كما هو الشأن في قوله (٢٤):

مهفهفةٌ بيضاءُ غيرُ مفاضة

ترائبها مصقولةٌ كالسجنجل

فقوله «غير مفاضة» بمثابة تقييد وليس إطلاقًا، وهي صفة مضادة للامتلاء. وحتى حديثه عن الامتلاء كان مقيدًا، لا لشيء إلا لأنه يصف انفعاله بالجمال الأنثوي الذي يملأ رغبته هو، فلهذا يرى هذا الجمال متحققًا بالامتلاء مرةً، ويتمثل مرةً ثانية بالضمور، ويتحقق مرة ثالثة بين الامتلاء والضمور.

وعلى هذا الأساس يتسنى للشاعر الجاهلي أن يعبر عن انفعاله الخاص بالجمال، وهذه الانفعالات غدت مع الزمن إطارًا فنيًا لصورة المرأة، بعد أن أقرها الذوق، وكان أقرها على هذا النسق خيال الشعراء.

إن صورة المرأة في الشعر الجاهلي ما هي في الحقيقة سوى انفعال الشعراء بجمال الكون. بمعنى أنّ المرأة البارعة في جمالها الشكلي عند الشاعر الجاهلي هي تلك التي امتلكت وجهًا أبيضَ مستديرًا كالقمر، وشعرًا فاحمًا كالليل، وعينين متسعتين كعيون المها، وجيد كجيد الرئم وقوامًا كالقضيب . . .

وهذه الصورة التي رسمها الخيال الشعري هي أجمل ما في الكون، لسبب بسيط وهو أنّ هذه الصورة تتضمن أجمل صور الموجودات مجتمعة في شكل المرأة، فعندما نظر الشاعر إلى الكون لم يرَ شيئًا أجمل من استدارة القمر، ونظر إلى عيون المخلوقات من حوله فلم يجد أوسع من عيون المها، وكذا سواد الليل وقوام القضيب وجيد الظباء، ثم اجتمعت الأذواق على استحسان هذه الأشياء مجتمعة في شكل واحد متناسق فخصت به المرأة، فصارت صورتها في الشعر تمثالاً قد لا يكون للمرأة فيه غير الرسم.

وأما جهة القداسة ضمن هذا الإطار، فإني لا أرى له أثرًا إلا في خيال المؤلف.

٤ - صورة المرأة الظاعنة:

في معرض حديث المؤلف عن صور الظعائن والطلل والطيف في القصيدة الجاهلية، أورد مقولة غريبة لم تجر إلا على ألسنة المستشرقين فحواها: «وتطييف المحبوبة في الطلل يجعلها امرأة بوجهين: طيف الخيال الآتي من الذاكرة القديمة، وهو ينسج خطوط وخيوط المرأة الحقيقية التي تظهر بصورة البدوية الظاعنة مثل الظبية الشاردة، وطيف الخيال المتصل بتطييف المكان الذي مسه أثر الحبيبة الساحر، فجعله يهرج بها كمن مسه لمم من الجن» (٢٥).

من الواضح أنّ المؤلف قد اعتمد على قول (ليختنستادلر) في معرض حديثها عن الأطلال، حين تصورت أنّ الشاعر الجاهلي في استغراقه متذكرًا يوم الرحيل؛ فإن هذا الاستغراق يبعث في نفسه طيف المحبوبة (٢٦)، ولكن المؤلف لم يقف عند هذا الحد، وإنما ابتعد في تأمله، ومن ثم نأى في تفسيره عن الحقيقة، ولا سيما حين تخيل أن الطلل مسكون بالجن، أو بطيف الحبيبة الذي يأسر الشاعر حالما يقف في الطلل فيمارس فعل السحر عليه.

ومما أوقع الباحث في هذا الخطأ أنه لم ينظر إلى المعنى المقصود للطيف، فقد فهم من كلمة الطيف المس والسحر والجن، غير أن هذا المعنى وإن كان مذكورًا في كتب اللغة والمعجمات إلا أنه غير مقصود في مجال الاستخدام الشعري المعروف بظاهرة طيف الخيال.

فظاهرة الطيف كما ذكرها الشعراء مرتبطة بالحلم وبالغرائز، وهذه المعاني أشارت إليها المعجمات أيضًا، يقول صاحب اللسان: الطيف هو الخيال الذي يطرق الحالم في أثناء النوم(٢٧).

وأما المقصود بظاهرة الطيف من الناحية النفسية فقد أشار إليها مسكويه في قوله: «الطيفُ اسم لصورة المحبوب إذا حصلته النفس في قوتها المتخيلة حتى تكون تلك الصورة نصب عينه وتجاه وهمه كلما خلا بنفسه، وهذه حال تلحق كل من لهج بشيء؛ فإن صورته ترتسم في قوته هذه التي تسمى المتخيلة وتكون ببطن الدماغ المقدم، فإذا تكررت هذه الصورة على هذه القوة انتقشت فيها ولازمتها، فإذا نام الإنسان أو استيقظ لم تخل من قيام تلك الصورة فيها، ويجد المشتاق في النوم خاصة إنسانه لأن النوم يتخيل فيه أشياء مما في نفسه، فربما رأى في النوم أنه قد وصل إليه الوصول الذي يهواه فيكون من ذلك الاحتلام . . .» (٢٨).

فهذا هو المقصود بالطيف من الوجهة النفسية فهو معادل لمجموعة الغرائز المكبوتة التي تتسرب في الحلم، وأما المقصود به من الوجهة الفنية، أو كما جاء ذكره في الشعر الجاهلي، فإن المتتبع لأوصاف الطيف في الشعر الجاهلي يقع على رسم متشابه من حيث الصياغة الفنية لوقائع الحلم، وإذا ما تجاوزنا بعض التفصيلات، وجدنا قصة الطيف تبدأ مع رحلة الشاعر في الصحراء، وقد عزم مع جماعة من أصحابه على قطع الفيافي والمهامه والأعقاد. وقد انتخبوا لهذه الرحلة الشاقة الإبل الجسورة القوية، وحملوها أمتعتهم ومضوا بها عبر المفاوز المخوفة، حتى إذا ما أعياهم المسير، وبدأت إبلهم تكل من مواصلة السير في الدروب التي لا تنتهي حطوا الرحال في موضع مجهول، أو في كثيب غير بارز، وما إن تلامس أجسادهم المرهقة الرمال حتى يطير بهم الوسن إلى الأحلام التي تبعث في نفوسهم صور محبوباتهم على هيئة خيالات طائفة تقض مضاجعهم، فتثير فيهم الخوف أول الأمر؛ لأنها تطرقهم فجأة، ثم ما تلبث نفوسهم أن تهدأ من روعها، فينصرفون إلى التعجب من قدرة الطيف على قطع المفاوز العسيرة، والاهتداء إلى مضاجعهم المجهولة، يقول الشريف المرتضى: «لقد تعجب الشعراء من زيارة الطيف على بعد الدار وشحط المزار، ووعورة الطرق، واشتباه السبل، واهتدائه إلى المضاجع من غير هاد يرشده، وعاضد يعضده، وكيف قطع بعيد المسافة بلا حافر في أقرب مدة وأسرع زمان؛ لأنّ الشعراء فرضت أن زيارة الطيف حقيقة» (٢٩).

ومن جيد وصف الطيف قول الشاعر (٣٠):

ولما استقر النوم في جفن عينه
وماتت له أوصاله والمفاصل
فأهدى إلينا الليل شخصًا تناسبت
إلى الحسن منه صورة وشمائل
فباتت غمامات النعيم تجودنا
لها ديم حتى الصباح ووابل

فأين تطييف المكان الذي يسحر الشاعر، وأين المس الذي تحدث عنه المؤلف في معرض حديثه عن الطيف والطلل والظعائن؟!

وخلاصة القول: إنّ هذه الأمثلة الوجيزة لتبين أنّ المؤلف كان محقّاً في الحديث عن مخاوفه وقلقه البالغ الذي بثه في صدر مؤلَّفه، فهو كما قال مدفوع باعتقاد مسبق ومقيد برؤية جاهزة، لهذا بدا وكأنه يلتقط الدلائل المؤيدة لهذا الاعتقاد من نماذج الشعر الجاهلي، وقد كان يستوي عنده مادام يبحث عن هذا السراب أن يبني أحكامه على كلمات وردت عرضًا في سياق القصائد، ولم يكلف نفسه مشقة

النظر الشامل المتفحص لنماذج الأدب . على خصوصية الأدب الجاهلي ؛ لأن هذه حقيقة لا تحتاج وهذا الأسلوب غير جائز ، ليس من باب الحرص إلى إثبات ، وإنما من باب الحرص على الموضوعية .

الحواشي

١ - تعرض نصرت عبدالرحمن في مؤلَّفه (**الصورة في الشعر الجاهلي**) إلى تفسير ظواهر الشعر الجاهلي تفسيراً أسطورياً ولا سيما في حديثه عن مقدمة الطلل في معلقة زهير بن أبي سلمى حيث جعل (أم أوفى) رمزًا لسيدة الخصب والجمال ومالكة الدراج والمتثلم والرقمتين قبل عشرين سنة ، منذ أن شبت الحرب بين عبس وذبيان ، فأدى رحيل سيدة الخصب والحكمة إلى إقفار الديار حتى باتت كأنها وشوم على المعاصم ، وفي معرض حديثه عن المكان ؛ فإنه يقول : إن قيمة المكان عند الوثنيين هو أنهم يظنون أنّ الآلهة تحل فيه ، وإذا كان زهير يتحدث عن المكان فهو في الحقيقة يتحدث عن الإله الذي يحل فيه ، وأعتقد ، والكلام لنصرت عبدالرحمن ، أن هذا الموقف مناجاة لسيدة الخصب والجمال ، وهوفي العلاقة بين زهير والآلهة التي هجرت الديار . . . (الصورة في الشعر الجاهلي ، ص١٩٩) .

٢ - انتربولوجية الصورة ، ص١٧ .

٣ - المرجع السابق .

٤ - انظر فهرس موضوعات الكتاب ، ص٤٣٠ وما بعدها .

٥ - انتربولوجية الصورة ، حاشية (٣) ، ص٣٢ .

٦ - نفسه ، ص١٧ .

٧ - نفسه ، ص١٨ .

٨ - نفسه ، ص٣٣ .

٩ - سورة الفتح / ١٨ .

١٠ - تفسير النسفي : ٤/ ١٥٦ .

١١ - انتربولوجية الصورة ، ص٣٣ .

١٢ - نفسه ، ص١٣٧ .

١٣ - نفسه ، ص١٣٧ .

١٤ - المعلقات العشر شرح وتصحيح الشنقيطي ، ص٦٩ .

١٥ - نفسه ، ص١١ .

١٦ - نفسه ، ص ١٤١ .

١٧ - **ديوان أبي نواس** تحقيق أحمد عبدالمجيد الغزالي ، ص٤٧١ .

١٨ - الصناعتين لأبي هلال العسكري ، ص ٤٢١ .

١٩ - **ديوان أبي تمام** بشرح التبريزي : ٣/ ٨٧ .

٢٠ - انتربولوجية الصورة ، ص١٣٨ .

٢١ - - نفسه ص ١٣٨ .

٢٢ - نفسه ص١٣٩ .

٢٣ - نفسه ص١٤٠ ومابعدها .

٢٤ - المعلقات العشر ، ص٥٨ .

٢٥ - انتربولوجية الصورة ، ص١٥٩ .

٢٦ - عرض طاهر لبيب في مؤلفه «**سوسيولوجيا الغزل العربي**» آراء المستشرقة ليختنستادلر فيما يتعلق عن علاقة الطلل بالطيف ، والكتاب نشرته وزارة الثقافة السورية بترجمة حافظ الجمالي سنة ١٩٧٠ .

٢٧ - لسان العرب مادة (طاف) .

٢٨ - **كتاب الهوامل والشوامل** لأبي حيان التوحيدي ، ومسكويه . وحديث مسكويه عن الطيف أدخل في باب التحليل النفسي لظواهر الأدب ، من هنا اكتسب قوله أهمية خاصة كونه يتعرض إلى التحليل النفسي في زمن لم يكن هذا التحليل معروفًا . انظر ما يتعلق بتحليل ظاهرة الطيف ، ص٣٠٦ .

٢٩ - **رسالة طيف الخيال** للشريف المرتضى تحقيق حسن كامل الصيرفي ، ص٦ .

٣٠ - المصدر السابق .

دليل مكتبة الأدب الإسلامي لعبد الباسط بدر

عبدالحميد حسانين حسن
المكتبة المركزية
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - الرياض

بدر ، عبدالباسط / دليل مكتبة الأدب الإسلامي في العصر الحديث .- عمَّان (الأردن) : دار البشير ، ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م .- ٢٣٨ص .

الهدف من إعداد هذا الدليل كما جاء في كلمة مقدم الدليل وليس معدّه ، هو رغبة رابطة الأدب الإسلامي العالمية في وجود دليل لمكتبة الأدب الإسلامي ، يكون عونًا للباحثين ، ومرشدًا للدارسين . وينقسم الدليل إلى قسمين :

١ - الكتب المطبوعة . ٢ - المقالات المنشورة في الدوريات .

وقد قسم القسم الأول تقسيمًا موضوعياً ، أما القسم الثاني فلم ير المعد حاجة لتقسيمه بالموضوع كالقسم الأول، وقد اشتمل الدليل على (١٨٤٨) مدخلاً ، اندرج تحت القسم الأول منها ٧٨٧ مدخلاً (الكتب المطبوعة)، والباقي تحت القسم الثاني (المقالات) .

ومما لا شك فيه ؛ فإن موضوع الأدب الإسلامي من الموضوعات المهمة التي يجب أن يتم حصر كل ما كتب فيها. ولقد بذل معد الدليل جهدًا طيبًا كان امتداداً للعمل الببليوجرافي الذي أعدّه لمجلة عالم الكتب (س٩ ، ع١ ، ١/ ١٠/ ١٩٨٨م) ، وفيما يلي سوف نورد بعض الملاحظات على هذا الدليل .

ملاحظات على رءوس الموضوعات

١ - بالنسبة لموضوع أدب الأطفال ؛ احتوى على ٣٥ مدخلاً وكلها أو معظمها قصص أطفال وأناشيد، ولو تم حصر الإنتاج الفكري في هذا الموضوع لرصدنا مئات المداخل ، ومن ذلك ما أصدرته جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، الذي يقدر عدده بحوالي ٢١ قصة في الفترة الزمنية نفسها أي حتى عام ١٤٠٩هـ وهي الفترة الزمنية التي يغطيها الدليل . والدليل لم يأت إلا بقصتين فقط ، وعندما نضرب المثال بجامعة الإمام ذلك لأنها تقع في البلد نفسه الذي أعدّ فيه الدليل ، وبالتالي سهولة الحصول على المطبوعات .

٢ - المدخل رقم ٢٧٥ صفحة ٥٧ وهو بعنوان «أدب الأطفال في ضوء الإسلام» .. هذا العنوان جاء تحت رأس الموضوع «دراسات نقدية لنصوص من العصر الحديث من وجهة نظر إسلامية» ، وهذا العنوان أو المدخل كان من المستحسن ؛ بل المفروض أن يدخل تحت رأس الموضوع «أدب الأطفال» ، فالباحث يريد أن يصل إلى ما صدر في أدب الأطفال ، ويأتي في الأهمية التالية إذا كان هذا الموضوع دراسة نقدية أو مؤتمرًا أو غير ذلك .

٣ - هناك رءوس موضوعات أتى بها معد الدليل وهي في حقيقة الأمر تعدّ شكلاً للموضوع ، فعندما يأتي الدليل ويذكر رأس الموضوع «بحوث مقدمة للندوات والمؤتمرات» فهب أن أحد الباحثين أراد أن يحصر ما جاء في الدليل من الشعر الإسلامي أو القصة الإسلامية فهو هنا لابد أن يقرأ كل المداخل التي جاءت في الندوات والمؤتمرات حتى يصل لمراده ، فالدليل أو الببليوجرافية تنظم المداخل تنظيمًا موضوعياً يجعل الباحث يجد ما يريده بسهولة ويسر، فأين السهولة

واليسر هنا ؟ وعلى هذا فإنه يمكن تقسيم الموضوعات من العام إلى الخاص على هذا النحو :

- الأدب الإسلامي
- الشعر الإسلامي .
- الشعر الإسلامي - ندوات .
- القصة الإسلامية .
- القصة الإسلامية - نقد .

وهذا مثال لما كان ينبغي أن يكون عليه تنظيم الدليل.

٤ - أن رأسي الموضوع «دواوين الشعر» و«مختارات شعرية» كان يمكن أن يدخلا تحت رأس موضوع واحد وليكن: الشعر - دواوين وقصائد ، ويؤيد أن الموضوعين موضوع واحد وليس اثنين ؛ إن المعد نفسه أتى مرة بالمدخل رقم ٤٢٢ صفحة ٧٣ وهو بعنوان «أناشيد الدعوة» في موضوع «دواوين الشعر» ومرة أخرى في موضوع «مختارات شعرية» المدخل ٧٢٧ صفحة ١٠٦ .

٥ - قسم الدليل إلى قسمين الأول الكتب المطبوعة، والآخر مقالات الدوريات ، ورتب القسم الأول موضوعياً، أما القسم الثاني المقالات ، فالمداخل مرتبة بالعنوان وليس تحت رءوس الموضوعات، وهذا القسم لا يستطيع الباحث فيه أن يصل إلى الموضوع الذي يريده، فلو أن باحثًا أراد أن يبحث عن موضوع أدب الأطفال ، أو الشعر الإسلامي أو غير ذلك من الموضوعات فلن يستطيع ذلك إلا بقراءة القسم الثاني كله، وهنا يكون الدليل أيضًا قد فقد جزءًا كبيرًا جداً من أهميته، والأمر الغريب في هذا الخصوص ما ذكره معدّ الدليل عن عدم تقسيم القسم الثاني حسب رءوس موضوعات، وفي ذلك يقول في الصفحة رقم (١٨) من المقدمة : «أما الأعمال المنشورة في الدوريات فلم أر حاجة لتصنيفها ، لأنها في الغالب لا تخرج عن حيز الدراسة والتعريف، لذا اكتفيت بترتيبها حسب عناوينها ووفق التسلسل الألفبائي» .

فمعدّ الدليل هنا يقلل من أهمية مقالات الدوريات ، في حين أنها مهمة جداً من حيث الجدية والحداثة ، خاصة بالنسبة للدوريات المتخصصة والمحكمة .

ملاحظات عامة

١ - في الصفحة المقابلة لصفحة العنوان توجد بطاقة فهرسة للدليل، ويبدو - والله أعلم - أن من أعدّ البطاقة في المكتبة الوطنية بالأردن (وهي مكتبة لها تاريخها المشرف في مثل هذه الأعمال) لم ير الكتاب، وإنما عرف عنوان الكتاب فقط وعلى هذا الأساس أعدّ البطاقة ، فقد اعتقد أن موضوع الكتاب مكتبة متخصصة في الأدب الإسلامي ، وليس وراقية (ببليوجرافية) في الأدب الإسلامي ، فأعطى الدليل رقم تصنيف (٠٢٦) وهو يعطى للمكتبة المتخصصة ، في حين أن الصحيح (٠١٦) ويعطى للببليوجرافية الموضوعية .

٢ - إذا نُظِرَ في آخر صفحة من الدليل (٢١٤) قبل الفهارس وجد أن مسلسل الداخل وصل إلى الرقم (١٨٤٨) وهذا يعني أن عدد المداخل (١٨٤٨) .. وهو غير صحيح ، فلو نظرنا للقسم الأول (الكتب) نجد آخر مدخل تحت رقم (٧٨٧) صفحة (١١٤)، ثم بدأ القسم الثاني (المقالات) برقم مسلسل (١٠٠١) والمفروض أن يبدأ بالرقم (٧٨٨) .

٣ - تحت رأس الموضوع «بحوث مقدمة للندوات والمؤتمرات» ، هناك كتاب لم يرد بالدليل وهو «بحوث ندوة الأدب الإسلامي» رغم أن المعدّ جاء بالأبحاث التي وردت فيه، وضمنها رأس الموضوع المذكور ، كذلك العنوان «الحوار حول الأدب الإسلامي» وكان من المفروض أن يأتي بالكتابين الأصليين ، حتي لا تتكرر الداخل في حين أنها مدخل واحد لكتاب واحد وموضوع واحد.

٤ - بالنسبة لفهرس الأعلام ، المعروف أنه يقوم بحصر أسماء المؤلفين والمحققين والمترجمين الذين وردت لهم أعمال في الببليوجرافية وفي هذا الدليل أتى معدّ الدليل بكل ما جاء من أعلام سواء في المقدمة أو حتى عناوين الكتب والمقالات التي جاءت في شكل علم ، ومن ذلك أنه أورد أعلامًا ليست لها علاقة بالتأليف أو الإعداد كالأعلام الآتية : خولة بنت الأزور ، سراقة بن مالك ، عثمان بن عفان وغير ذلك من الأعلام . أيضًا

في فهرس الأعلام يأتي الدليل باسم العلم وأمامه رقم الصفحة وليس رقم المدخل فعندما يضع رقم الصفحة أمام العلم يضطر الباحث أن يقرأ كل مداخل الصفحة بدلاً من أن يذهب مباشرة للمدخل المطلوب كما أن المعد رغم أنه يورد في فهرس الأعلام بالمؤلفين وغير المؤلفين فإنه لم يلتزم بذلك في بعض الأعلام مثل أمل دنقل (مدخل ١١٥٢)، وكذلك أدونيس (مدخل ١٠٩٨).

٥ - في مقدمة الكتاب صفحة (١٨) ذكر معدّ الدليل طريقة عرض اسم المؤلف على مدى صفحتين ، وأوضح أنه لا يقلب الاسم كما يحدث في المنهج الغربي وأنه أخذ بمنهج التراث العربي والإسلامي وهو أن يأتي بالاسم كما هو غير مقلوب .. والحديث في طريقة عرض الاسم كان يمكن أن يكون لو أن الدليل أعِدَّ تحت مداخل المؤلفين ، ولكن بما أن الدليل جاء بالعناوين سواء في القسم الأول أو الثاني فكيف كان سيأتي بالاسم مقلوباً والتنظيم في المداخل وفقًا للعناوين بالعنوان .

٦ - بالنسبة للوصف الببليوجرافي هناك لبس بين بطاقة الفهرس بالمكتبة والمداخل الببليوجرافية أو البطاقات الببليوجرافية ومن هنا جاء الدليل بمقاس الكتاب أو حجم الكتاب بالسنتيمتر، كذلك بالنسبة لبيانات النشر يأتي بالناشر ثم مكان النشر ، والصحيح مكان النشر ثم الناشر ثم تاريخ النشر ، وكذلك لم يأت بالرموز المقننة في الوصف الببليوجرافي مثل : (، : -) .

وبعد ؛ فهذه الملاحظات لا تقلل من قيمة هذا العمل الكبير بموضوعه المهم ، الذي نتمنى له في الأجزاء التالية أن يتلافى الملاحظات التي وردت لمعدّ الدليل .

إقرأ في الأعداد القادمة

* تخصص المكتبات والمعلومات ....محمد جلال غندور
* عبث الوليد .... إبراهيم السامرائي
* ما تبقى من شعر ابن القطاع اللغوي .... عبدالمجيد الأسداوي
* دار الوراقة الخليجية ...... علي إبراهيم النملة
* كتاب التنبيه مخطوطًا ..... وليد السراقبي
* أدب الإملاء والاستملاء .... مصطفى رجب
* كتب الأطفال ومبدعوها .. سمر روحي الفيصل
* مواقف فاعلة في الهوية .... محمد قرقزان
* جامع الغرض في حفظ الصحة ودفع المرض .... محمد أحمد القضاة
* معجم المصطلحات الاقتصادية ... نزيه حماد
* ندوة السيوطي وإسهامه في الثقافة العربية .... عبدالإله أحمد نبهان
* ختم (دمغة من الرصاص) باسم «عبدالرحمن الأول)............ عبدالله بن إبراهيم العمير
* صورة نجد في تراث الشعر العربي .... عبداللطيف أرناؤوط
* القاموس المحيط للفيروز أبادي .... رابح لطفي جمعة
* المكتبات العامة في خطط التنمية بالمملكة العربية السعودية .... هشام عبدالله العباس

سهو وتنويه

حدث خطأ طباعي في مقال «النص الفكاهي» للدكتور إبراهيم الشمسان المنشور في العدد السادس من المجلد السادس عشر في الصفحة (٥٩٢) السطر (٩) والخطأ (أبدع النحويين) والصواب (أبدع النحويون) لذا لزم التنويه.

الدوريات العلمية
الارتقاء بمقتنيات المكتبات
بتحليل اتجاهات النشر لطوني ستانكوس

حشمت محمد علي قاسم
كلية الآداب
جامعة القاهرة

Tony Stankus. Scientific journals; improving library Collections through analysis of publishing trends. N.Y., Haworth Press, 1990 XIV, 205p. ISBN: 0886656 05-7.

١ – للإنتاج الفكري حول الدوريات بعض سمات الدوريات من الغزارة والثراء. فلم تحظ نوعية من أوعية المعلومات بما حظيت به الدوريات من اهتمام في الإنتاج الفكري . وتتسم دائرة الاهتمام بالدوريات بالاتساع، حيث لا تقتصر على المكتبيين واختصاصيي المعلومات، وإنما تشمل الباحثين منتجي مقالات الدوريات والمستفيدين من هذه المقالات، ومسئولي التحرير، والناشرين، والموردين، والعاملين في الصيانة والتجليد، ومنتجي مراصد البيانات، ومصممي النظم الآلية المتكاملة ومورديها للمكتبات، والمهتمين بتطوير شبكات الاتصالات وتراسل البيانات . ومن الطبيعي أن ينعكس ذلك في فيضان الإنتاج الفكري الذي يتدفق في مختلف القنوات، من تقارير البحوث والأطروحات، ومقالات الدوريات، وأعمال المؤتمرات، والكتب على اختلاف فئاتها. ويرجع هذا الاهتمام إلى ما تتمتع به الدوريات من أهمية في الاتصال العلمي فضلاً عما تواجهه من ضغوط وتحديات. وواقع الأمر أن المهتمين بالدوريات يشعرون بأنها تمر بأزمة حقيقية. وهذه الأزمة ليست وليدة اليوم وإنما حصيلة تراكمات من الظروف والممارسات التي ظهرت بوادرها في منتصف أربعينات القرن الحالي، حيث تبين للباحثين وقتئذٍ أن الدوريات، بشكلها التقليدي، ليست بالقناة المناسبة لنشر إنتاجهم بالسرعة المناسبة .

ومع نهاية الخمسينات ومطلع الستينات بدأت الدوريات تشكل موضوعًا خصبًا لمناظرات ساخنة في أوساط المهتمين بالاتصال العلمي من الباحثين والمكتبيين واختصاصيي المعلومات، حيث جاءت نتائج دراسات الإفادة من أوعية المعلومات لتؤكد انخفاض مستوى فعالية تكلفة اقتناء الدوريات . ومن هنا بدأت تدابير ترشيد الاقتناء تسير جنبًا إلى جنب مع جهود البحث عن قنوات بديلة للدوريات . ولم تؤد هذه البدائل للاستغناء عن الدوريات وإن كانت قد وضعتها تحت الحصار. وجاءت السبعينات تحمل بين طياتها مزيداً من الضغوط الاقتصادية على المكتبات، حيث أدى ارتفاع نسبة التضخم إلى ارتفاع تكلفة المقتنيات بما فيها الدوريات . ولم تجد المكتبات مفراً من الاتجاه نحو سبل ترشيد الاقتناء المتمثلة في تقليص عدد الاشتراكات، ودعم خطط الاقتناء التعاوني، وتقاسم الموارد . وكان من الطبيعي أن تنعكس نتائج هذه الخطط والبرامج التعاونية سلبًا على ناشري الدوريات وموزعيها، حيث انخفضت معدلات التوزيع إلى الحد

الذي اضطر معه الناشرون لخفض عدد النسخ المطبوعة . وقد أدى خفض عدد النسخ إلى ارتفاع تكلفة النسخة بالنسبة للناشر ، ومن ثم بالنسبة للمكتبات . وهكذا، وجدت المكتبات نفسها أمام نمط جديد من العلاقة مع ناشري الدوريات وموزعيها. ومن هنا أصبحت الدوريات تشكل أزمة حقيقية لكل المتعاملين معها . وقد تطلب ذلك الدعوة إلى تضافر جهود جميع فئات المهتمين بالدوريات للبحث عن مخرج من هذه الأزمة . ولم تكن هناك حتى النصف الثاني من السبعينات قنوات مهنية تستوعب الجهود المشتركة وتنظم تدفقها، فنشأت جماعات البحث في الدوريات .

وفي عام ١٩٧٧ تكونت في بريطانيا جماعة المملكة المتحدة للدوريات U. K. Serials Group التي تهتم بالبحث في كل ما يتعلق بالدوريات، وتضم في عضويتها جميع فئات المهتمين بالدوريات من المحررين والناشرين والموزعين والمكتبيين والباحثين . وفي عام ١٩٨٦ تكونت في أمريكا جماعة مناظرة باسم جماعة أمريكا الشمالية للاهتمام بالدوريات North American Serials In-terest group (نازك NASIG) . وتعمل هذه الجماعات بالتنسيق مع الجمعيات العلمية والاتحادات المهنية في المجالات المختلفة التي تهتم بالدوريات إنتاجًا ونشرًا وتوزيعًا وتجميعًا واستثمارًا . وتنظم جماعة أمريكا الشمالية مؤتمرًا سنويًا لتدارس قضايا الدوريات .

وفضلاً عن الاهتمام بالدوريات في الدوريات المتخصصة في المكتبات وعلم المعلومات والنشر، وبعض التخصصات الأخرى، ظهر عدد من الدوريات المكرسة أساسًا لما يتصل بالدوريات، نذكر منها على سبيل المثال Serials Review و Serials Librarian و Newsletter on Serials Pricing Issues، بالإضافة إلى مراجعة علمية دورية بعنوان Advances in Serials Management .

وتشكل هذه النشاطات العلمية والمهنية روافد لمجموعة متميزة من الكتب التي تتناول قضايا الدوريات في سياق التطورات العلمية والتقنية والاقتصادية والاجتماعية الراهنة . وقد شهدت السنوات الأخير من الثمانينات وبداية التسعينات ارتفاعًا ملحوظًا في معدلات صدور مثل هذه الكتب. وقد استرعى الانتباه مجموعة من الكتب نراها جديرة بالتنويه في أوساط المكتبيين واختصاصيي المعلومات في الوطن العربي، حيث ترصد هذه الكتب اتجاهات الاهتمام بالدوريات، ومن بينها الكتاب موضوع هذا العرض .

٢ – هذا الكتاب من تأليف طوني ستانكوس Tony Stankus الحاصل على الماجستير في المكتبات، والذي يعمل بإحدى المكتبات العلمية في الولايات المتحدة، ويمتاز بغزارة الإنتاج فضلاً عن ولعه الواضح بالدوريات. ولعل أبرز دليل على هذا الاهتمام إصداره لكتاب آخر في الموضوع بعنوان :

Scientific Journals ; issues in library selection and management

هذا بالإضافة إلى دعوته في عامي ١٩٨٦ و١٩٨٧ لكتابة المراجعة العلمية السنوية حول الدوريات The Year's work in serials لمجلة: Library Aquisitions; Practice and Theory التي يتمتع بعضوية لجنة تحريرها. كذلك يكتب ستانكوس عمودًا منتظمًا في مجلة RQ التي تصدر عن قسم المراجع وخدمات الكبار في جمعية المكتبات الأمريكية، وعمودًا آخر في مجلة Science & Technology Libraries ، وكلاهما يهتم بالاختيار وتنمية المقتنيات في المكتبات العلمية.

٣ – يقع الكتاب في مئتين وخمس صفحات، فضلاً عن الصفحات الاستهلالية التي تضم المقدمة والإهداء والشكر وبيان المحتويات، ويبلغ عددها أربع عشرة صفحة . ويشغل المتن مئة وثمانٍ وتسعين صفحة، بينما يشغل الكشاف بقية الصفحات. وكما

يتضح من العنوان الفرعي؛ فإن الهدف الرئيس هو الارتقاء بمستوى مقتنيات المكتبات اعتماداً على تحليل الاتجاهات السائدة في نشر الدوريات . ومحتوى هذا الكتاب أقرب إلى التجميع منه إلى التأليف، حيث تشكل تقارير البحوث معظم فصوله. وبعض هذه الفصول سبق نشرها كمقالات في الدوريات المتخصصة. والموضوع الجامع لكل هذه الأعمال هو العلاقات المتبادلة بين كل من الباحثين كمؤلفين ومحررين ومستفيدين من الدوريات، والناشرين والدوريات. وفضلاً عن المقدمة الموجزة التي كتبتها باربرا لوكيت Barbara A. Lockett مدير المكتبات بأحد المعاهد الفنية العليا في نيويورك، ينتظم فصول الكتاب البالغ عددها أحد عشر بحثًا ثلاثة محاور أساسية، وهي الإفادة من الدوريات، واتجاهات النشر والنشاط العلمي في بعض مناطق العالم، وأثر كل من التطورات التقنية والمنافسة في الارتفاع بمستوى الدوريات العلمية .

١/٣ - يبلغ نصيب المحور الأول الخاص بالإفادة من الدوريات، ثلاثة بحوث بالإضافة إلى تمهيد يقسم فيه المؤلف المهتمين بالدوريات في الولايات المتحدة الأمريكية، وربما في جميع أنحاء العالم، إلى فئتين؛ الأولى لا همَّ لها سوى رتابة الإجراءات التكرارية الخاصة بمتابعة الدوريات وتسجيلها وسداد فواتيرها، ولا تدري شيئًا عن السياق العام لنشاطها، ومن ثم فإنها من السهل أن تستجيب لضغوط من بيدهم مقاليد الأمور المالية، للحد من الإنفاق على الدوريات دون إدراك ما يمكن أن يترتب على ذلك من سلبيات . أما الفئة الثانية فتتجاوز النظرة الضيقة إلى مقومات العمل والنجاح، وترى نفسها جزءًا لا يتجزأ من قصص النجاح في النشاط العلمي بما تقدمه للعلماء من خدمات . وهذه الفئة على استعداد، كما أن لديها القدرة على الدفاع عما يخصص للدوريات من ميزانيات . وتهدف الأعمال الثلاثة التي تدور في فلك هذا المحور إلى مساعدة المكتبيين في اختيار وجهتهم. وينتهي التمهيد بتشجيع المكتبيين على الاختيار، وتبصيرهم بقدرتهم على امتلاك زمام أمورهم، فتعاستهم بأيديهم والسير في موكب الفائزين أيضًا بأيديهم. وكما هي عادته في معظم أعماله وضع المؤلف لهذا التمهيد عنوانًا غير عادي «**إدراك قصص النجاح عندما نراها، والتحقق من قدرتنا على الإفادة منها لصالحنا**» .

١/١/٣ - وقد جاء البحث الأول في المحور الأول بعنوان «**عائدات مرتفعة لاستثمار مكلف في دوريات العلوم؛ تتبع المسار المهني لمن أفادوا من الدوريات في المرحلة الجامعية الأولى، بعد عشر سنوات**» . ويتناول هذا البحث أنماط إفادة طلبة المرحلة الجامعية الأولى (ما قبل التخرج) من الدوريات، ويبدأ بتسجيل العوامل التي تؤدي إلى ضغط مخصصات الدوريات في المكتبات، وتتلخص في ارتفاع تكلفة اقتناء الدوريات، واستيراد الكثير منها بالعملات الحرة في مقابل دولار ضعيف، واستياء المكتبيين الشديد من الناشرين التجاريين، والجهد الكبير المستنفد في إدارة الدوريات، وافتقار معظم المكتبيين إلى المعرفة العلمية، وجهل الكثير منهم بديناميات النشر في الدوريات. وكل هذه العوامل لاغبار عليها إلا عامل واحد يستحق وقفة قصيرة . فإذا كان استيراد الدوريات وانخفاض سعر صرف الدولار يمثل مشكلة بالنسبة للمكتبات في الولايات المتحدة الأمريكية، فكيف يمكن النظر إلى الاستيراد ومشكلات العملة الحرة بالنسبة للمكتبات في المجتمعات الأخرى وخاصة في الدول النامية ؟ وينتقل المؤلف بعد ذلك إلى مناقشة أسس الحكم على الدوريات وتقييمها لأغراض الاقتناء، ويرى أن تحليل الاستشهادات المرجعية لا يمثل المقياس الحاسم، كما أنه عادة ما ينتهي إلى أن الدوريات التي يستشهد بها بكثافة غالبًا ما تكون أعلى الدوريات تكلفة. كذلك يشير المؤلف إلى مزالق دراسات الإفادة المحلية، خاصة أن نتائجها قلما تكون قابلة للتعميم . ويهدف البحث موضوع هذا الفصل إلى بيان بعض أوجه تميز الخريجين الذين أفادوا من الدوريات في المرحلة

الجامعية الأولى عمن عداهم. وتعتمد الدراسة على عينة قوامها ٤٢٠ خريجًا تم اختيارهم من دليل خاص بالمؤلف في الكيمياء يضم أكثر من ألف مؤلف . وكان معيار الاختيار التأليف الفردي أو المشترك لبحث منشور في إحدى الدوريات العلمية المحكمة التي توزع على المستوى القومي في المدة من ١٩٧٤ إلى ١٩٧٧. والسؤال الذي يطرحه البحث، ويحاول الإجابة عنه هو : ماذا حقق هؤلاء الخريجون الذين أفادوا من الدوريات في مرحلة مبكرة، والذين أصبحت تكلفة اقتناء دورياتهم تشكل عبئًا على المكتبات؟ وبالرجوع إلى نشرة مستخلصات الأطروحات Dissertation Abstracts International تبين أن ٣٠٪ من أفراد العينة حصلوا على الدكتوراه في العلوم، فضلاً عن حصول حوالي ١٩٪ على الدكتوراه في الطب. ويخلص الباحث إلى أن من أفادوا من الدوريات في المرحلة الجامعية الأولى كانت فرصتهم في الحصول على الدكتوراه أعلى من المتوسط على المستوى القومي. وبمراجعة جداول برامج الدراسات العليا الصادرة عن الأكاديمية القومية للعلوم تبين أن ٦٠٪ ممن أفادوا الدوريات وحصلوا على الدكتوراه حصلوا على درجاتهم من أفضل الجامعات . كما أن ٢٩٪ من هؤلاء حصلوا على درجاتهم في أقل مدى زمني ممكن ويؤكد مستوى المعاهد الطبية التي درسوا فيها والفرص الوظيفية التي أتيحت لهم مدى تمثيلهم للصفوة فعلاً . ويعبر الباحث عما يود تأكيده في النهاية بعبارة بسيطة لا تخلو من حماس، حيث يقول: إن الوطن بحاجة إلى المواهب، والمواهب بحاجة إلى الأدوات والإمكانات، ولما كانت المواهب علمية؛ فإن الدوريات العلمية هي الأدوات، وهي أدوات لا ينبغي أن نبخل عليها .

٢/١/٣ - والبحث الثاني في هذا المحور بعنوان **«لقد أصبح الباحث العلمي رئيسًا للتحرير؛ إعادة النظر في مجموعة الدوريات تبعاً لمراحل المسار المهني للمستفيد»** ويهدف إلى التعرف على أثر تولي الباحث العلمي لمهام التحرير على حاجته إلى الدوريات. ويرى الباحث وجود ثلاثة احتمالات للتغير، أولها أن تؤدي الواجبات الشاقة المرهقة للوظيفة الإضافية إلى انخفاض معدل إفادة الباحث من المكتبة، ومن ثم إنتاجه من البحوث. أما الاحتمال الثاني فهو أن يؤدي التعيين في هذه الوظيفة الجديدة للارتفاع بمعدلات إنتاج الباحث . والاحتمال الثالث أن يأتي التعيين والباحث قادر على أن يتم التحول أو الانتقال من ظرف إلى آخر بأدنى قدر من الاضطراب في معدلات البحث والإنتاج. وبالنسبة للاحتمال الأول؛ فإن معظم المكتبيين مستعدون للتساهل مع رئيس التحرير الجديد في المدى القصير إلى أن تستقر أموره، أما على المدى الطويل فإن بعضهم يرى في إنتاج رئيس التحرير العامل الحاسم في تحديد نصيبه من الدوريات ومادام الوقت الكافي للبحث والإنتاج لم يعد لديه؛ فإنه يمكن وقف الاشتراك في بعض الدوريات التي كان يفيد منها. أما بالنسبة للاحتمال الثاني ؛ فإنه من الممكن للاتصالات المتزايدة المصاحبة لتولي مهام التحرير أن تكون دافعًا لتدفق المزيد من البحوث، كما أن بروز رئيس التحرير بشكل متزايد يمكن أن يؤدي إلى الارتفاع بمعدلات قبول مقالاته . هذا بالإضافة إلى احتمال تلقي الدعوات للإسهام في الدوريات الجديدة أو كتابة المراجعات العلمية. ويمكن لمثل هذه الزيادة في كثافة النشاط والإنتاج أن تكون مبررًا لإضافة دوريات جديدة لصالح هذا المستفيد . أما في حالة الاحتمال الثالث؛ فإن الأمر قد لا يتطلب إعادة النظر في مجموعة الدوريات .

وقد لا يقتصر تأثير تغير المسار المهني أو العملي أو الوظيفي للعالم على عدد ما ينتجه من بحوث، وإنما يمكن أن يشمل أيضًا عدد الدوريات التي ينشر فيها إنتاجه وفئات هذه الدوريات . ويتساءل الباحث، هل سيزيد عدد المقالات التي يحرص الباحث على نشرها في الدورية التي يتولى تحريرها أم ينخفض هذا العدد ؟ ما مدى حرص الباحث على النشر في الدوريات التي تنافس دوريته

بشكل مباشر ؟ هل يمكن أن يزداد ارتباط هذا المحرر الجديد بالدوريات متعددة التخصصات ذات المكانة الرفيعة ؟ هل ينشر هذا الباحث في عدد قليل من الدوريات المتخصصة في المجالات القريبة من تخصصه، أو في الدوريات التي تهتم بالتخصصات الدقيقة الناشئة،أم في أعداد كبيرة من هذه الدوريات؟ وللإجابة عن هذه التساؤلات يركز هذا البحث على نوعين من التغيرات المصاحبة لتولي الباحث مهام التحرير، وهما التغير في الإنتاجية، والتغير في مجموعة الدوريات المستخدمة كمنافذ للنشر.

ويمثل هذا البحث حلقة في سلسلة من البحوث التي يجريها المؤلف عن مراحل ومجريات المسار الوظيفي للباحث، وأثر التغيرات المصاحبة لهذه المراحل على اهتمامه بالدوريات وحاجته إليها. ويعرض المؤلف لأهم الجهود السابقة في هذا الموضوع تمهيداً لوصف مشروع بحثه . وتعتمد الدراسة على عينة من الدوريات المتخصصة في العلوم الطبية الحيوية Biomeical، حيث تم تحليل لجان تحرير أكثر من مئة دورية بحثًا عما حدث في عضويتها من تغير عام ١٩٨١. وقد تبين من هذا التحليل وجود ٦٦ عضواً جديداً، وكان إنتاج هؤلاء الأعضاء الجدد في السنوات الثلاث السابقة على التعيين ٧٢٨ بحثًا، وفي السنوات الثلاث التالية للتعيين ٧٣٩ بحثًا . ويمكن لهذه النتيجة أن توحي بأن المحررين يضطلعون بالعبء الإضافي دون تغيير يذكر في إنتاجهم من البحوث . إلا أن النظرة التحليلية المتعمقة في نصيب كل فرد من الإنتاج تكشف عن نتيجة مناقضة تمامًا، فلم يحافظ سوى أربعة فقط من المحررين الجدد على معدل إنتاجهم نفسه، البالغ تسع مقالات في المتوسط في فترتي البحث، أي ينطبق عليهم الاحتمال الثالث الذي سبقت الإشارة إليه والخاص بعدم تأثر الإنتاجية. أما بقية العينة فكانت موزعة بين الاحتمال الأول والخاص بانخفاض الإنتاجية (٣٢ محرراً أي حوالي ٤٨,٤٨٪ من إجمالي العينة) والاحتمال الثاني الخاص بزيادة الإنتاجية (٣٠ محررًا أي حوالي ٤٥,٤٥٪ من إجمالي العينة) . وبالنسبة للاحتمال الأول والخاص بانخفاض الإنتاجية بلغت نسبة الانخفاض حوالي ٣١٪ ، في حين بلغت الزيادة في الاحتمال الثاني حوالي ٧٠٪ في المتوسط. ويستطرد الباحث في تحليل هذه النتائج وتفسيرها، فضلاً عن بيان انعكاسها على أداء المكتبات في اقتناء الدوريات .

٣/١/٣ - والبحث الثالث الأخير في المحور الأول بعنوان «**جائزة الأكاديمية بدون أوسكار؛ ما الذي يطرأ على الإفادة من الدوريات من جانب الباحثين بعد انتخابهم أعضاء في الأكاديمية القومية للعلوم وضمان نشر إنتاجهم في سجل أعمالها**» ويبدأ بتعريف موجز بالأكاديمية ودوريتها . وتعتمد بيانات هذا البحث على تتبع ما نشر في الدوريات للعلماء الذين تم انتخابهم لعضوية الأكاديمية في الأعوام ١٩٨٢ (٥١ عضوًا) و ١٩٨٣ (٥٤ عضوًا) و ١٩٨٤ (٥٤ عضوًا) من المقيمين في الولايات المتحدة الأمريكية، والمتخصصين في الرياضيات أو العلوم الفيزيائية أو علوم الأحياء. ويغطي تحليل إنتاج هؤلاء الأعضاء ما نشر في السنوات الثلاث السابقة على الانتخاب والسنوات الثلاث اللاحقة له، وعُدّ عام الانتخاب محايداً، ولم يشمله التحليل . ويركز البحث في تحليله على جانبين أساسيين؛ **أولهما** التغيرات التي تطرأ على التعامل مع الدوريات نتيجة الانتخاب، **وثانيهما** أوجه الاختلاف الدقيق بين المتخصصين في الرياضيات والعلوم الفيزيائية، والبالغ عددهم ٧٤ عضواً، من جهة، والمتخصصين في العلوم الطبية الحيوية والبالغ عددهم ٨٥ عضواً من جهة أخرى. وفي سعيه هذا يحاول البحث الإجابة عن الأسئلة التالية :

* هل كان الانتخاب لعضوية الأكاديمية القومية للعلوم عاملاً دافعًا للإنتاج ؟
* هل يمكن للأعضاء الجدد النشر في دوريات لم يسبق لهم النشر فيها ؟
* هل يمكن للنشر في سجل أعمال الأكاديمية Proceedings

of the National Academy of Science (PNAS) أن تكون من إرهاصات الترشيخ للعضوية ؟

* ما أثر النشر في PNAS التي تتميز مقالاتها بالإيجاز على النشر في دوريات المراسلات الموجزة ؟
* ما مدى اهتمام الأعضاء الجدد بإعداد المراجعات العلمية؟
* في أي فئات الدوريات تصدر المراجعات العلمية التي يعدها الأعضاء الجدد ؟
* ما مدى حرص الأعضاء الجدد على رعاية الأجيال الجديدة من الباحثين ؟
* هل يمكن لسيطرة مقالات العلوم الطبية الحيوية أن تستمر في PNAS ؟

ويقدم البحث إجابات منهجية لكل هذه الأسئلة .

٢/٣ - وتدور بحوث المحور الثاني حول اتجاهات النشر والنشاط العلمي في بعض مناطق أوربا وآسيا، وانعكاس ذلك على مجتمع المعلومات والمكتبات في الولايات المتحدة الأمريكية . والغيرة القومية واضحة في دوافع البحوث الستة التي يضمها هذا المحور ، والتي يمهد لها المؤلف بمقدمة يعبر عنوانها « **ماذا تعني تحولات النشاط العلمي العالمي واتجاهات النشر بالنسبة للمكتبيين في الولايات المتحدة الأمريكية ؟** » عن الرسالة بوضوح . ويبدأ هذا التمهيد بسؤال غاية في الأهمية : هل تفقد الولايات المتحدة الأمريكية سيطرتها التقنية والاقتصادية ؟ ويسوق المؤلف بعض الشواهد التي تبرر طرح هذا التساؤل ؛ فالأمريكي الآن يرتدي الملابس المصنوعة من الألياف الاصطناعية الألمانية، ويركب السيارة الكورية، ويتعامل مع منفذ الحاسب الياباني، ويتعاطى الكحوليات الأسكتلندية ... وتمتد حلقات هذا التخوف من فقدان سيطرة الأمريكيين على مقدرات حياتهم حتى تصل إلى مجموعات الدوريات؛ فالأمريكي يرتعد عند حدوث أي تقلب في أسعار العملات في أوربا، ويحمل هموم عدد الدوريات اللازمة لملاحقة التطورات الآسيوية . وعادة ما تسلك استجابة المكتبيين لهذه التطورات مسارين ؛ أولهما مراقبة الأسعار وثانيهما تشويه سمعة الناشرين الأجانب، والحط من قدر إنتاجهم ... ويواصل المؤلف عرض أبعاد مشكلة التعامل مع الإنتاج الفكري الأجنبي في الولايات المتحدة الأمريكية بشكل درامي، يتسم بالصراحة والوضوح، وهو أمر يغبطه عليه أقرانه في مجتمعات أخرى .

٣/٢/١ - يتناول الفصل الأول في هذا المحور «**نشأة الدوريات الأوربية الموحدة Eurojournals؛ يمكن لنجاحها أن يكون لنا**» الدوريات العلمية الناتجة عن تضافر الجهود الأوربية، وذلك من حيث خصائصها وأوجه التشابه ومظاهر الاختلاف بينها وبين الدوريات الأخرى، ومدى نجاحها، وما يكتنفها من مظاهر القصور، وقدرتها على استقطاب أفضل المؤلفين، ومن ثم قدرتها على المنافسة واحتلال مكانة مرموقة على المستوى العالمي. وهذا البحث جهد مشترك بين المؤلف وباحث آخر، وسبق نشره في إحدى الدوريات المتخصصة .

٣/٢/٢- ويتناول الفصل الثاني في المحور الثاني مدى ضعف موقف الدوريات التجارية الأوربية في مقتنيات مكتبات البحث الأمريكية . وعنوان هذا البحث أقرب إلى المستخلص المصغر منه إلى العنوان حيث يتكون من إحدى وأربعين كلمة. ويقارن المؤلف هنا بين الدوريات الأوربية التي يصدرها كل من إلزفير وبرجامون وشبرنجر، والدوريات الأمريكية التي تصدر عن كل من أكاديمك برس وبلينوم وجون وايلي. والسمة المشتركة بين كل من مجموعتي الدوريات هي صدورها عن مؤسسات نشر تجارية . وقد تمت المقارنة بين الدوريات الأوربية والدوريات الأمريكية على أساس مكانة الدورية بناء على مدى الاستشهاد بها، بالإضافة إلى الجوانب الاقتصادية الخاصة بتكلفة النشر وفعالية تكلفة الاقتناء، وقدرة الدوريات على اجتذاب الباحثين للنشر فيها .

٣/٢/٣ - أما الفصل الثالث في هذا المحور « **هل ينشر أفضل إنتاج علمي ياباني في الدوريات الغربية ؟** » فقد شارك في كتابته ثلاثة مؤلفين من بينهم

طوني ستانكوس، ويتناول الأهمية النسبية للدوريات اليابانية، في ضوء عاملين أساسيين، أولهما بروز اليابان كقوة علمية، وثانيهما ارتفاع أسعار الدوريات العلمية، خاصة تلك التي تصدر عن مؤسسات نشر تجارية في الولايات المتحدة الأمريكية وأوربا. ويبدأ الفصل ببيان أوجه تميز اليابان في النشاط العلمي، وعوامل هذا التميز، ثم يلقي الضوء على اتجاهات النشر العلمي في اليابان، وإسهام الباحثين اليابانيين في الدوريات الأمريكية والأوربية. ويخلص من تحليل هذا الإسهام إلى حرص اليابانيين على النشر في أفضل الدوريات الأمريكية، وتفضيلهم لدوريات أوربا الغربية على دوريات أوربا الشرقية. وينتهي هذا الفصل بثلاث توصيات تشكل بعض عناصر استراتيجية التعامل مع الدوريات. وتنص التوصية الأولى على ضرورة حرص المكتبات على اقتناء أكبر عدد من الدوريات الأمريكية والأوربية ذات الرصيد المرتفع من الاستشهادات المرجعية، حتى وإن كان ذلك على حساب الدوريات اليابانية. وتنص التوصية الثانية على إضافة الدوريات اليابانية إلى المقتنيات على حساب الدوريات السوفيتية ودوريات العالم الثالث. أما التوصية الثالثة فتنص على الاعتماد في حملات تمويل اقتناء المزيد من الدوريات اليابانية على السند الموضوعي المستمد من الإحصاءات الخاصة بمدى الإفادة منها كتلك الواردة في هذا البحث، وكذلك إحصاء مدى استشهاد الباحثين بهذه الدوريات.

٣/٢/٤ – ويتناول الفصل الرابع في المحور الثاني «نمور العلوم والتقنية الآخرون في آسيا: اتجاهات النشر العلمي لكل من هونج كونج والصين وسنغافورة وكوريا الجنوبية وتايوان» اتجاهات النشر العلمي في خمس دول في جنوب شرقي آسيا، تمثل قوى اقتصادية لا يستهان الآن بها. وتشكل العلوم والتقنية الركائز الأساسية لهذه القوى الاقتصادية. ويحلل المؤلف الإنتاج الفكري في العلوم والتقنية لهذه الدول الخمس من عام ١٩٨٥ إلى عام ١٩٨٧، من حيث أنماط اختيار المؤلفين للدوريات التي ينشرون أعمالهم فيها، ومدى إسهام كل من الجمعيات المهنية ودور النشر التجارية، والعوامل التاريخية المؤثرة في نشاط كل من الفئتين، وانعكاس كل ذلك على الدوريات التي تصدر في هذه الدول، واقتناء هذه الدوريات في المكتبات. وينتهي البحث باستراتيجية مقترحة للتعامل مع الإنتاج الفكري الصادر في الدول الخمس.

٣/٢/٥ – أما الفصل الخامس في هذا المحور «الألفة الزائدة تؤدي إلى الازدراء: الدوريات العلمية الكندية كمنافذ جاذبة اقتصادياً ومهنياً للباحثين الأمريكيين والمكتبات التي تخدمهم» فيتناول تفاعل الأوساط العلمية الأمريكية مع الدوريات الكندية. ويبدأ الفصل بتسجيل مظاهر الألفة الكندية الأمريكية، وينتقل بعد ذلك للنظر في اتجاهات النشر العلمي في كندا، ومناقشة الأهمية النسبية للدوريات العلمية الكندية، وانعكاس ذلك على موقف الباحثين الأمريكيين ومكتبات البحث والمكتبات الأكاديمية من هذه الدوريات.

٣/٢/٦ – ويتناول الفصل السادس، الأخير في المحور الثاني «منتج المقالة كموزع لها: الوضع التنافسي والاحتمالات المستقبلية للقطاع الجامعي في نشر الدوريات العلمية الأمريكية» دور الجامعات الأمريكية في النشر العلمي. ويأخذ المؤلف، من البداية، على الجامعات الأمريكية إمدادها الناشرين التجاريين الأوربيين بعشرات الآلاف من المقالات بلا مقابل، ثم شراء هذه المقالات بعد ذلك في شكل اشتراكات باهظة التكاليف. ثم يتناول المؤلف الدوافع التاريخية لدور النشر الجامعية في الولايات المتحدة الأمريكية، وأثر الظروف الراهنة على نشاط هذه الدور، والخيارات المتاحة للجامعات الأمريكية في إصدار الدوريات. ويعقد المؤلف بعد ذلك مقارنة بين أداء دور النشر الجامعية الأمريكية ومنافسيها من الناشرين التجاريين الأوربيين. ويبين المؤلف أيضًا الخطوات التي ينبغي اتخاذها قبل الشروع في إصدار دوريات جديدة. وينتهي الفصل بتلخيص ما يمكن أن يكون عليه موقف المكتبيين إذا ما أعادت الجامعات الأمريكية النظر في ممارساتها في نشر الدوريات.

٣/٣ - ويدور بحثا المحور الثالث، الأخير حول أثر كل من التطورات التقنية والمنافسة في الارتفاع بمستوى الدوريات العلمية . ويمهد المؤلف لهذا المحور بمقدمة بعنوان : «التقنية والمنافسة يؤديان إلى الارتقاء بالدوريات العلمية في الوقت الراهن» . ويحاول المؤلف في هذا المحور تأكيد حقيقتين ؛ أولاهما أن الدوريات المطبوعة تستثمر فعلاً إمكانات الحاسبات الآلية، والثانية أن الدوريات العلمية أقل تخلفًا مما نظن عادة .

١/٣/٣- ويتناول الفصل الأول في المحور الثالث «الدوريات العلمية المعتمدة على النشر المكتبي والأصول الجاهزة للتصوير» التقنيات الحديثة المستخدمة في نشر الدوريات، حيث يرى المؤلف أن نظم النشر المكتبي قد طغت على الطرق التقليدية لإعداد أصول المقالات. ويعتمد البحث الوارد في هذا الفصل على دراسة تتبعية لست دوريات علمية في المدة من عام ١٩٨٤ إلى عام ١٩٨٧. وقد تم تقسيم مقالات هذه الدوريات وفقًا للطرق المتبعة في إعداد أصولها للنشر، حيث تبين أن الأصول المعدة بواسطة نظم النشر المكتبي ارتفع نصيبها من ٨٪ عام ١٩٨٤م إلى ٥٥٪ عام ١٩٨٧م. كما تبين أيضًا أن الغالبية العظمى (حوالي ٨٠٪) من هذه الأصول ترد من الدول الغربية ودول جنوب شرقي آسيا المنافسة. أما دول ما كان يعرف بالاتحاد السوڤيتي ودول العالم الثالث فيبلغ نصيبها من أصول المقالات هذه ٥٪ فقط، في حين تنتج ٢٠٪ من الأصول المعدة بالآلات الطابعة العادية. ويحاول المؤلف إلقاء نظرة على مستقبل النشر المكتبي، وما يحمل بين طياته من احتمالات في نشر الدوريات .

٢/٣/٣- والبحث الثاني الأخير في هذا المحور والكتاب ككل بعنوان : «التنافس كقوة دافعة في تطور أشكال الدوريات العلمية والجداول الزمنية لنشرها؛ دراسة حالة في مجال بيولوجيا الخلية» ويتناول هذا البحث أثر التنافس في تطور أشكال الدوريات وانتظام مواعيد صدورها. ويرى المؤلف أنه إذا نظرنا إلى أية مجموعة من الدوريات في السياق الزمني نفسه، فإننا نلاحظ بروز نموذج قيادي يتمتع بمكانة مرموقة في أوساط المتعاملين معه والمستفيدين منه . وتبدأ الدوريات الأخرى ترصد سلوكيات هذا النموذج وممارساته في الإخراج وتوقيت الصدور، لكي تحذو حذوه ويؤدي ذلك إلى التحسن التدريجي في هذه الدوريات، كما يحفز النموذج القيادي للمحافظة على ما يتمتع به من مزايا، ومن ثم استمرار عجلة التطور في الدوران . وكل ذلك في صالح المكتبيين والمستفيدين . ويعتمد البحث الوارد في هذا الفصل على دراسة تتبعية لعينة من دوريات بيولوجيا الخلية، حيث ترصد الضغوط التي تعرضت لها هذه الدوريات خلال العقدين الماضيين والظروف التي مرت بها. كما تتناول الدراسة أثر الإخراج وتوقيت الصدور على مسار الدورية في ثلاث مراحل زمنية؛ من عام ١٩٦٩ إلى عام ١٩٧٣، ومن عام ١٩٧٤ إلى عام ١٩٨٠، ومن عام ١٩٨١إلى عام ١٩٨٨.

٤ - وهكذا ؛ يلقي هذا الكتاب الضوء على كثير من القضايا المطروقة المألوفة والجديدة في مجال الدوريات، وقد أضاف المؤلف إلى اتساع آفاق المجال عمقًا غير عادي في التحليل ووعيًا غير مسبوق في التفسير، فضلاً عن المشورة المستندة إلى الدليل العلمي، حيث لم يقف عند حدود الوصف والتحليل. وفضلاً عن استقامة المنهج، ووضوح التعبير وجماله في الوقت نفسه، يتميز الكتاب باستثمار الرسوم البيانية ودقة التوثيق . وبالإضافة إلى الخبرة المنهجية التي يقدمها هذا الكتاب، يمثل محتواه وما تضمن من نتائج واجتهادات حقيقية ثروة لا تقتصر احتمالات استثمارها على المجتمع الذي أجريت فيه البحوث . ونرى في هذا الكتاب دروسًا مفيدة لكل المرتبطين بالوسط العلمي، والمهتمين بهذا الوسط إدارة وتخطيطًا وتنسيقًا وتمويلاً . وفضلاً عن أعضاء هيئة التدريس والباحثين وطلبة الدراسات العليا في المكتبات وعلم المعلومات، يجد مديرو المكتبات ومسئولو تنمية المقتنيات في هذا الكتاب ما يسهم في ارتفاع مستوى الأداء في التعامل مع الدوريات .

شرح جمل الزجاجي

المنسوب إلى ابن هشام المتوفى سنة (٧٦١هـ)

تحقيق علي محسن عيسى مال الله

عبدالله بن حمد الدايل

أستاذ مساعد

ورئيس قسم اللغة العربية

كلية المعلمين - الرياض

شرح جمل الزجاجي المنسوب إلى أبي محمد عبدالله جمال الدين ابن هشام الأنصاري ؛ تحقيق ؛ علي محسن عيسى مال الله ٠- بيروت : عالم الكتب، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م .

لست بصدد الحديث عن أمر نسبة الكتاب إلى ابن هشام فنسبته إليه مشكوك في صحتها ؛ إذ أكَّد علي فودة نيل، يرحمه الله، بأدلَّة مقنعة أنَّ الكتاب ليس لابن هشام ؛ بل هو «لقيط دُعيَ لغير أبيه» (١) .

قال علي فودة - يرحمه الله - : «وقد صحّ عندي أنَّ هذا الشرح ليسَ لابن هشام، بأدلة في طليعتها ما قام على دراية بأسلوب ابن هشام، ومصطلحاته النحوية، وطريقة علاجه لمباحث كثيرة في كتبه المعروفة له - بها قصور مخلّ بالشرح المذكور . وفي طليعتها أيضًا ما استُمدَّ من الوقوف على أمور وردت بالشرح المذكور، الصواب عند ابن هشام خلافها، ومن استقصاء لنقده للزَّجَّاجيّ في عدد من المسائل خلا عنه الشرح المنسوب إليه» (٢) .

وأشار إلى أنَّ المراجع القديمة لم تذكر هذا الشرح ضمن مؤلفات ابن هشام، وأنَّ صاحب هذا الشرح قد تابع الزجاجي، ولم يناقشه في شيء خلاف المعهود عن ابن هشام، وأنَّ الإعراب في هذا الشرح عني بالأمثلة البسيطة السهلة، وهو أمر لم يُعْهد عند ابن هشام (٣) .

فهذه الأدلة تنفي نسبة الكتاب إلى ابن هشام بيد أنّي هنا سأتحدَّث عن نقد تحقيق الكتاب ؛ إذ التحقيق لذاته يُعَدُّ عملاً علميًّا قابلاً للتقويم، وقد زيَّن لي ذلك تفشِّي الأخطاء الشكليّة والمنهجيَّة التي وقع فيها المحقق مما يبعث على الدهشة والاستغراب . وقد قمت بقراءة هذا الكتاب قراءة متأنِّية فاحصة مدوِّنًا ما يقابلني فيه من أخطاء سواء أكانت شكليّة أم منهجيَّة . والكتاب الذي بين يديَّ من القطع المتوسط، ويقع في أربع مئة وثمان وثمانين صفحة وتولَّى طباعته عالم الكتب ببيروت عام ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م .

وكنت اقتنيت نسخة من هذا الكتاب منذ خمسة أعوام تقريبًا، وقد قمت بقراءتها، ولاحظت كثرة الأخطاء فيها، واستوقفني سوء ترتيب العناوين فالكتاب مليء بالأخطاء حتى إنه ليصعب حصرها، وأكثر هذه الأخطاء يتحمل أمرها المحقق، إذ أرى أنَّ من يتصدَّى للتحقيق يجب عليه أن يكون مستوعبًا لقواعده ومستفيدًا من خبرات السابقين له . وتحقيق كتب النحو والصرف يحتاج جهدًا خاصًّا، إذ يلزم المحقق أن يتأكد من صحة النص وصحّة القاعدة، ويراجع أمهات الكتب في هذا الفن لاستجلاء النص والتأكد من صحته، وعليه أن يحرص على تحرير النص مضبوطًا بالشكل، إذ للضبط وزن كبير في الدراسة النحوية والصرفيَّة فلا عذر للمحقق إن ترك أمر الضبط بالشكل إلى الطابع وغفل عنه .

وقد اعتمد المحقق في تحقيقه للكتاب على نسخة

مصوَّرة في معهد المخطوطات العربية في القاهرة برقم [٧٢ نحو] وهذه النسخة المصوَّرة مأخوذة من المخطوطة الوحيدة الموجودة في مكتبة الأحمدية في حلب برقم [٩٧٦] كما يقول المحقق. وقد بحثت عن المخطوطة نفسها كي تسهِّل عليَّ أمر نقد التحقيق، فلم أعثر عليها، وحاولت الحصول على صورة الأصل المحقَّق، فلم أستطع غير أني عقدت العزم على نقد التحقيق مستعينًا بالله أولاً ثم بالمصادر والمراجع التي من أهمها :

كتاب سيبويه، والجمل في النحو للزجاجي لكون الكتاب - موضوع الدراسة - شرحًا للجمل في النحو للزجاجي.

ومهما يكن من أمر فسأحصر نقدي للتحقيق في ثلاثة جوانب وهي :

١ - الأخطاء الفنية، وتشمل : علامات الترقيم، وعناوين الموضوعات، وتقسيم النص إلى فقرات، وإهمال ضبط النصوص، ونحو ذلك.

٢ - أخطاء الشروح والتعليقات التي وقع فيه المحقق.

٣ - الأخطاء في قراءة النص وضبطه.

فالهدف من هذا البحث هو استجلاء هذه الأخطاء ليحذرها الكتَّاب عامّة والمحققون خاصة.

أسأل الله العون، وما توفيقي إلاَّ بالله عليه توكَّلت وإليه أنيب.

أولاً - الأخطاء الفنية :

١ - علامات الترقيم :

أ - إهمال علامات الترقيم :

كثيرًا ما يهمل المحقق علامات الترقيم فمعظم سطور الكتاب يخلو منها، يظهر ذلك جليّاً لمن يتصفح الكتاب فالمحقق لا يعير هذه العلامات اهتمامًا (٤). ونجده في بعض الأحايين يلتزم ببعضها. ومن أمثلة إهماله علامات الترقيم ما جاء في ص٩٢، السطر الأول إذ جاء ما نصُّه :

«(باب الإعراب)

باب خبر ابتداء مضمر كأنه قال : هذا باب الإعراب خفض بإضافة باب إليه، وسقط التنوين للإضافة والإعراب هو البيان . . . » انتهى.

فالمحقق قد أهمل علامات الترقيم، ولو حرص عليها لأثبتها كما يأتي :

«(باب الإعراب)

«باب» خبر ابتداء مضمر ؛ كأنَّه قال : هذا بابٌ.

«الإعراب» خفض بإضافة «باب» إليه، وسقط التنويع للإضافة و«الإعراب» هو البيان . . .

ولا شك أنَّ إهمال علامات الترقيم يجعل المعنى ملبسًا. ونجده - وإن التزم ببعض علامات الترقيم - يهمل أكثرها، نلحظ ذلك ابتداءً من المقدمة (ص٧) حتى آخر صفحات الكتاب.

ب - سوء استعمال علامات الترقيم :

- جاء في ص٨٣، سطر٤ مانصُّه :

« الباء : في بسم زائدة وهي من حروف المعاني التي تخفض، فلانًا». فالمحقق هنا استعمل النقطتين والفصلة في موضعين لا يصلحان لهما.

والصواب : «الباء في "بسم" زائدة، وهي من حروف المعاني التي تخفض فلانًا» انتهى.

«فلانا» هكذا في المطبوع وفي النفس من هذه الكلمة شيء، ولا أدري ما صواب هذه الكلمة في المخطوط ؟ لعجزي عن الاطلاع عليه، أو الحصول عليه من مصدره.

- جاء في ص١١٩، سطر ٢ مانصُّه :

«الأسماء التي يؤكد بها للواحد، المذكر، كله، ونفسه، وعينه وأجمع، وأكتع، وللاثنين، كلاهما، وأنفسهما وأعينهما، وأجمعان وأكتعان يجوز عند الكوفيين، والجمع، كلهم، وأنفسهم، وأعينهم، وأجمعون أكتعون وللواحدة المؤنثة : كلها، ونفسها وعينها. . . » انتهى.

قراءة الأمصار، متَّفقتا المعنى غير مختلفتيه فبأيتهما قرأ القارئ فهو مصيب في الإعراب والمعنى» (١٦).

- جـــاء في «باب النداء» وذلك في ص٢٣٣، سطر٣ ما نصُّه:

«وإذا أقبلت على رجل بعينه قلت: يارجلُ أقبلْ. تقديره يا أيَّها الرجلَ أقبل لأنك تريده بعينه» انتهى. ووجه الخطأ بناء «أيّ» على الفتح ونصب (الرجل) بعدها وصواب العبارة هو:

«وإذا أقبلت على رجل بعينه قلت: يارجلُ أقبلْ. تقديره يا أيُّها الرجلُ أقبلْ، لأنَّك تريده بعينه» ورفع (الرجل) بعد (يا أيها) واجب؛ لأنَّه نعت لـ (أيّ) قال أبو القاسم الزجَّاجيّ في معرض حديثه عن (باب النداء): «واعلم أنّه لا ينادى اسمٌ فيه الألف واللام إلا بـ "أيّ"، كقولك: "يا أيُّها الرجُلُ"... فـ "أيُّ": اسم مفرد منادى، و"ها": صلةٌ لـ "أيّ"، و"الرجل": نعت لـ "أيّ" في قولك: "يا أيُّها الرجُلُ". وهو نعت لا يُسْتَغْنى عنه، ولا يجوز فيه إلاَّ الرفع» (١٧).

- جاء في "باب ما لا يجوز فيه إلا إثبات الياء"، وذلك في معرض الحديث عن لغات المنادى المضاف إلى مضاف إلى ياء المتكلم - في ص٢٤٤، سطر ٧ ما نصُّه: «وللعرب فيه (أي في المنادى المضاف إلى مضاف للياء) ثلاث لغات... والثانية يا ابنَ أمَ ويا ابنَ عمَ فتكسر وتحذف الياء استخفافًا» انتهى.

والسؤال أين كسر الياء وحذفها، استخفافًا في ضبطه للغة الثانية؟

إن الصواب هو: يابْنَ أمٍّ، ويا بْنَ عَمٍّ؛ قال سيبويه: «هذا باب ما تضيف إليه ويكون مضافًا إليك وتثبت فيه الياء؛ لأنه غير منادًى وإنما هو بمنزلة المجرور في غير النداء وذلك قولك: يا بن أخي.. وقالوا: يا بن أُمَّ ويا بن عَمَّ فجعلوا ذلك بمنزلة اسم واحد لأنّ هذا أكثر في كلامهم من يا بن أبي... وقد قالوا أيضًا: يا بنَ أُمٍّ ويا بنَ عَمٍّ كأنهم جعلوا الأوّل والآخر اسمًا ثم أضافوا إلى الياء كقولك: يا أحَدَ عَشَرَ أقبلوا وإن شئت قلت حذفوا الياءَ لكثرة هذا في كلامهم» (١٨).

- جاء في «باب الصلات» ص٤١٥، سطر٣ ما نصُّه:

«وتقول فيه (أي في الاسم الموصول "الذي") إذا وصلته بالجزاء الذي أن تأته يأتك زيد والذي أن تكرمه يكرمك عمرو وكذلك ما أشبهه» انتهى.

والصواب أن يقال «... الذي إن تأته يأتك زيد، والذي إن تكرمه يكرمك عمرو، وكذلك ما أشبهه "أي بكسر همزة (إنْ) بعد (الذي)؛ قال سيبويه في "هذا باب الجزاء إذا أدخلتَ فيه ألف الاستفهام"... كما يكون صلةً للذي إذا قلت: الذي إن تأته يأتك زيدٌ فهذا كلُّه وصل فإن قال الذي إن تأته يأتيك زيدٌ وأجعلُ يأتيك صلة الذي لم يجد بُدّاً من أن يقول: أنا إن تأتني آتيك...» (١٩).

ونجد المحقق يقطع ما حقّه الوصل، ويصل ما حقه القطع (٢٠). ويكسر همزة (إنَّ) وهي واجبة الفتح (٢١) ويفتحها وهي واجبه الكسر (٢٢).

وقد تتبَّعت ذلك، ثم قرَّرت أن أعرض عن ذكره لئلا أثقل على القارئ. واللبس في هذه الأمور مما يكثر في الكتب الحديثة عامّة. ناهيك بكتب النحو والصرف واللغة التي ينبغي أن تكون أنموذجًا يحتذى في التحرير.

ثانيًا - الشواهد الشعرية:

أخفق المحقق في ضبط بعض الشواهد الشعريَّة ويطول بي المقام لو استعرضتها جميعًا لذا فإني أكتفي بالتمثيل لهذه الأخطاء كما يأتي:

- ورد في «باب اسم الفاعل» وبخاصة عند حديثه عن الإضافة غير المحضه لاسم الفاعل في ص١٧٥، السطر الأول ما نصُّه: «قال جرير فادخل رب على غابطنا:

يَارَبَ غابطنا لو كانَ يط...كُمْ
لاقى مُ...ةً منكم وحِرمانًا» انتهى .

وصواب ضبط الشاهد هو :

يارُبَّ غابطنَا لَوْ كانَ يَط...كُمْ
لاقَى ...ةً منْكُم وحِرمَانًا (٢٣)

أي أنَّ صواب الضبط «رُبَّ» بدلاً من «رَبَ» ، و«يَطْلُبُكُم» بدلاً من «يطلبكم» خلافًا للمحقق .

- جاء في «باب ما يجوز تقديمه من المضمر على الظاهر وما لا يجوز» ص١٩٩ ، سطر١٦ هذا البيت مضبوطًا هكذا :

جزى رَبُّهُ عني عَديَّ ب... حاتم
جزاءُ الك...بَ العاويات وَقَدَ فَعَلُ

فالمحقق يرفع كلمة (جزاء) وهي مفعول مطلق، ويضم آخر "فعل" وهو فعل ماض مبني سَكَنَ آخره لأجل الوقف؛ والصواب هو :

جَزَى رَبُّهُ عَنّي عَديَّ بن حاتم
جَزَاءَ الكلا... العَاويات وَقَدْ فَعَلْ (٢٤)

والشاهد فيه عودة الضمير في «ربَّه» على ما بعده وهو «عديّ» وهو شاذ، ومرتبط بالضرورة الشعرية .

- في «باب النداء» وفي أثناء الكلام عن تنوين المنادى العلم في ضرورة الشعر في ص٢٣٦ ، السطر الأول ورد هذا البيت مضبوطًا هكذا :

سلام اللّه يامَطَرَ عليه...
وَلَ... عَليكَ يا مَطرُ السلامُ

فالمحقق ضبط آخر كلمة (مطر) الأولى بالفتحة هكذا (يا مَطَرَ) وهو خطأ وصواب الضبط هو رفع (مطر) الأولى مع التنوين هكذا:

سَلاَمُ اللّه يامَطَرٌ عليها
ولَيس... ...كَ يا مَطَرُ السلامُ (٢٥)

والشاهد فيه تنوين المنادى العلم في ضرورة الشعر وهو قوله : «يامَطَرٌ» وتنوينه وتركه على لفظه مرفوعًا هو مذهب الخليل أمَّا عيسى بن عمر فينصبه منونًا (يامطرًا) يشبِّهه بقولهم : يارجلاً يجعله إذا نوِّن وطال كالنكرة .

قال سيبويه معلِّقًا على البيت السابق :

«فإنما لحقه التنوين (أي يا مطرٌ) كما لحق ما لا ينصرف ؛ لأنَّه بمنزلة اسم لا ينصرف وليس مثل النكرة؛ لأنَّ التنوين لازم للنكرة على كلّ حال والنصبَ وهذا بمنزلة مرفوع لا ينصرف يلحقه التنوين اضطرارًا. . . وكان عيسى بن عمر يقول: يا مطرًا يشبهه بقوله يا رجلاً يجعله إذا نُوِّن وطال كالنكرة ولم نسمع عربيًا يقوله وله وجهٌ من القياس إذا نُوِّن وطال كالنكرة» (٢٦) .

- جاء في «باب إضافة المنادى إلى المتكلم» عند الحديث عن اللغة الرابعة في المنادى المضاف إلى ياء المتكلِّم وهي «يا غلاما أقبل» ص٢٤٢ ، سطر ١٤ هذا الشاهد مضبوطا هكذا :

يا ابنةَ عَمّاه لا تَلومي واهجَعي

بإثبات "هاء الوقف" في "عَمَّاه" وهو غير صحيح ؛ إذ الصواب :

يا بْنَةَ عَمَّا لا تَلُومي واهْجَعي (٢٧)

ولو تنبَّه المحقِّق لإعراب البَيت لما زاد "هاء الوقف" إذ جاء في ص٢٤٢ ، سطر ١٦ ما نصُّه : «فأبدل من كسرة الميم فتحة (يعني في يا بنة عَمِّي) فانقلبت الياء لسكونها وانفتاح ما قبلها ألفًا» .

والشاهد فيه إبدال الألف من الياء في قوله : "يا بنة عَمَّا" كراهة اجتماع الكسرة والياء مع كثرة الاستعمال .

ويلاحظ أنَّ المحقِّق أثبت ألف "ابنة" بعد "ياء" النداء والصواب حذف همزة الوصل في كلمة "ابن" ، و"ابنه" بعد "ياء" النداء (٢٨) .

- وورد في «باب ما رَخَّمَت الشعراء في النداء اضطرارًا» ص٢٥٧ ، سطر ٣ هذا البيت مضبوطًا هكذا :

ألا أضحتْ حبالُكُمُ رِمامًا
وأضْحَتْ منكَ شاسعةً أمامًا

والخطأ في قوله : "أمامًا" ؛ إذ الصواب "أُمَامًا" - بغير تنوين - ترخيم "أُمَامَة" فصواب الضبط هكذا :

ألا أضحتْ حبالُكُمُ رِمامًا
وأضْحَتْ منكَ شاسعةً أُمَامَا (٢٩)

وأخطاؤه في ضبط الشواهد الشعرية كثيرة (٣٠).

وهنالك بعد الأخطاء الإملائية (٣١)، كما أنَّ هنالك أخطاءً مطبعيَّة كثيرة جداً تُعْزَى إلى المطبعة، وقد رصدتها ثم قرَّرت أن أضرب الذكر عنها صفحًا لئلا أثقل على القارئ.

ومهما يكن فإنَّ وزر هذه الأخطاء يقع على المحقق؛ لأنَّه هو المعنيّ بإخراج هذا الكتاب إخراجًا صحيحًا فالطابع ليس عليه لوم.

من كلٍّ ذلك يتبيّن كيف تَحوَّل هذا الكتاب إلى نسخة رديئة لا يصحُّ الاعتماد عليها، لكثرة الخطأ والتشويه فعمل المحقق أوصلنا إلى ثلاث نتائج :

الأولى : أنَّ خبرة المحقِّق في التحقيق أقلُّ مما يقتضيه مثل هذا الكتاب وهو «شرح جمل الزجاجي».

الثانية : أن معرفته بالمادة العلميَّة التي يحقِّق لا تسعفه للتصدِّي لمثل هذا الكتاب.

الثالثة : ضعف المحقق في اللغة عامة، والنحو خاصة ويظهر ذلك جليّاً من خلال تعامله مع الشواهد النحوية الشعرية.

لذلك كلِّه أرى أنَّ هذا الكتاب بحاجة إلى من يعيد تحقيقه وتوثيقه متبعًا المنهج العلمي في التحقيق ليظهره في ثوب قشيب يليق بمكانته، وليضيف شيئًا إلى المكتبة النحوية.

ختامًا أسأل الله التوفيق والهداية، وأستغفره من كلِّ زلل.

الهوامش والتعليقات

١ - علي فودة نيل، «شرح جمل الزجاجي المنسوب إلى ابن هشام الأنصاري» (مستلة من **مجلة معهد المخطوطات العربية**، مج٣٢، ج٢، (١٤٠٨هـ - ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م) الغلاف.

٢ - علي فودة نيل، «شرح جمل الزجاجي المنسوب إلى ابن هشام الأنصاري، ص٣٦٠.

٣- علي فودة نيل، «شرح جمل الزجاجي المنسوب إلى ابن هشام الأنصاري»، ص ٣٦٠ - ٣٦١. ومما هو جدير بالإشارة إليه أنَّ علي فودة - يرحمه الله - قد عُني بابن هشام، وآثاره، ومذهبه النحوي من خلال رسالته للدكتوراه وهي : **«ابن هشام الأنصاري : آثاره ومذهبه النحوي»** وقد قام بنشرها، وتولَّت نشرها عمادة شؤون المكتبات بجامعة الملك سعود بالرياض عام ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٥م.

٤ - انظر أبو القاسم عبدالرحمن بن إسحاق الزجاجي، **شرح جمل الزجاجي المنسوب إلى ابن هشام** (موضوع هذه الدراسة) تحقيق علي محسن عيسى مال الله، (بيروت : عالم الكتب، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م) انظر على سبيل المثال، ص٧، ٤٢، ٥٣ سطر ١٦ وما بعده، ٩٢، ١٢٦، وأكثر سطور الكتاب يخلو من علامات الترقيم ونجده حين يُلزِمُ نفسه بها يقتصر على الفاصلة والنقطة، ومع ذلك يسيء استعمالهما في أحايين كثيرة.

٥ - سيبويه أبو بشر عمرو بن عثمان ابن قنبر، **الكتاب**، ط١ (القاهرة، المطبعة الكبرى الأميرية "بولاق"، ج٢، ص ١٦١ - ١٦٢.

٦ - سيبويه، الكتاب، (بولاق)، ج٢، ص٧٠ - ٧١ .

٧ - جاء إهماله للضبط مع أهميته في مواضع كثيرة منها «باب ما لم يسمّ فاعله» ص١٦٤، سطر٣، ٧، و«باب التصغير» ص٣٢٦، سطر١، ص٣٢٧ و«باب الجمع المكسَّر» ص٤١٨، سطر٢، ص٤٢٠، سطر٨ .

٨ - سيبويه، الكتاب، (بولاق)، ج٢، ص ٣٥.

٩ - سيبويه، الكتاب، (بولاق)، ج٢، ص ١٣٩ .

١٠- مجمع اللغة العربية، **المعجم الوسيط**، مراجعة عبدالوهاب السيد عوض الله، ومحمد عبدالعزيز القلماوي، (مصر، دار عمران، مطابع الأوفست، ط٣، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م)، ج٢، ص٧٦٠ (استقرى) العمود الأول، سطر٢٩ .

١١- مجمع اللغة العربية، **المعجم الوسيط**، ج٢، ص٦١٢، (عرب)، العمود الأوسط، سطر ٥ .

١٢- مجمع اللغة العربية، **المعجم الوسيط**، ج٢، ص٦١٢، (عرب)، العمود الأوسط، سطر ١٥ .

١٣- انظر، امرؤ القيس، ديوانه، تحقيق حسن السندوبي، (بيروت، المكتبة الثقافية، ط٧، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م) ص١٧٦ من قصيدته التي يقول في مطلعها :

ألا عِمْ صَبَاحًا أيُّها الطَّلَلُ البالي
وَهَلْ يَعِمَنْ مَنْ كان في العُصُرِ الخالي

انظر ديوانه، قافية اللام، القصيدة رقم (٥٤) ص١٥٨ .

١٤- سيبويه، الكتاب، (بولاق) ج١، ص٨٢ - ٨٣ .

١٥- سورة ٦ (الأنعام)، آية ٩٦ .

١٦- ابن جرير الطبري، **تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن)**، (بيروت، دار الفكر، ١٩٨٨م)، مج٥، ج٧، ص٢٨٣ - ٢٨٤ .

١٧- أبو القاسم الزجاجي، **الجمل في النحو**، تحقيق علي توفيق الحمد، ط١، (بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٤م)، ص١٥٠ .

١٨- سيبويه، الكتاب، (بولاق)، ج١، ص٣١٨ .

١٩- سيبويه، الكتاب، (بولاق)، ج١، ص٤٤٤ .

٢٠- قطع ما حقُّه الوصل أمر فاشٍ في الكتاب (موضوع الدراسة)، انظر: ص ٦٨، سطر١٨، ص٨٨، سطر٢، ص٩٠، سطر١٣ .
والأمر نفسه في وصل ما حقه القطع انظر : ص٥٦، سطر٤، ص٥٧، سطر١٦، ص٧٣، سطر٨، ص٧٤، سطر٢، ١١ .

٢١- انظر ص١٠٦، سطر ١٢ من الكتاب موضوع الدراسة .

٢٢- انظر ص٢٩٥، سطر١٠ من الكتاب موضوع الدراسة .

٢٣- البيت لجرير - انظر **شرح ديوان جرير** - شرح محمد إسماعيل عبدالله الصاوي، (بيروت، دار مكتبة الحياة، «بلا تاريخ»)، ص٥٩٥ وانظر في الشاهد : سيبويه، الكتاب (بولاق)، ج١، ص٢١٢. وفيه (يَعْرِفُكُمْ) مكان «يَطْلُبُكُمْ» .

٢٤- اختلف في قائل هذا البيت، فقيل للنابغة الذبياني، انظر ديوانه، صنعة ابن السكّيت، تحقيق الدكتور شكري فيصل، (بيروت، ١٩٦٨م)، ص٢١٤. وقيل : لأبي الأسود الدؤلي، انظر ديوانه، تحقيق الشيخ محمد حسن آل ياسين، (بغداد مكتبة النهضة، ١٩٦٤م)، ص١٢٤ . والبيت في شرح التصريح للنابغة أو أبي الأسود الدؤلي أو عبدالله بن همارق، انظر الشيخ خالد الأزهري، شرح التصريح، ط٢ (القاهرة :

المطبعة الأزهرية، ١٣٢٥هـ)، ج١، ص٢٨٣ وهو بلا نسبة في ابن عقيل: انظر بهاء الدين ابن عقيل، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، ط١٣ (القاهرة: بلا تاريخ)، ج١، ص٤٢١. والزجاجي، الجمل في النحو، ص١١٩. وينسب لابن كيسان القول بأنَّ "البيت مولَّد مصنوع" ينظر: حنَّا جميل حدَّاد، **معجم شواهد النحو الشعرية**، ط١ (الرياض، دار العلوم للطباعة والنشر، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م)، الشاهد رقم[٢٤٠٩]، ص٥٨٩.

٢٥- الشاهد للأحوص الأنصاري في ديوانه، جمع وتحقيق عادل سليمان جمال، (القاهرة، الهيئة العامة للتأليف والترجمة، ١٩٧٠م)، ص١٨٩. وانظر في الشاهد: سيبويه، الكتاب (بولاق) ج١، ص٣١٣، وأبو العباس المبرد، المقتضب، تحقيق محمد عبدالخالق عضيمة، (القاهرة، دار التحرير للطباعة والنشر، ١٣٨٥هـ - ١٣٨٨هـ)، ج٤، ص٤١٤، ٤٢٤.

٢٦- سيبويه، **الكتاب** (بولاق)، ج١، ص٣١٣.

٢٧- الشاهد لأبي النجم العجلي. وهو من شواهد سيبويه انظر سيبويه، **الكتاب** (بولاق)، ج١، ص٣١٨، والشاهد في الزجاجي، **الجمل في النحو**، ص١٦٠.

وهو بلا نسبة في المبرّد، **المقتضب**، ج٤، ص٢٥٢.

٢٨- انظر ابن درستويه، كتاب **الكتّاب**، تحقيق إبراهيم السامرائي وعبدالحسين الفتلي، ط٦، (الكويت، دار الكتب الثقافية، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م)، ص٧١.

٢٩- البيت لجرير، انظر شرح ديوانه، ص٥٠٢، وانظر في الشاهد: سيبويه، **الكتاب** (بولاق)، ج١، ص٣٤٣.

والشاهد بلا نسبة في الزجاجي، **الجمل في النحو**، ص١٧٤، وأبو البركات كمال الدين الأنباري، **أسرار العربية**، تحقيق محمد بهجت البيطار، (د.ت)، (د.ن)، ص٢٤٠.

والشاهد فيه ترخيم "أمَامَه" وهي غير مناداة للضرورة الشعرية.

٣٠- وقع المحقق في أخطاء كثيرة وهو يضبط بعض الشواهد الشعرية في الكتاب انظر على سبيل المثال: ص٢٣٤، سطر١١، ص٢٤٣، سطر٨، ص٢٥٧، سطر١٠، ص٢٦٢، سطر١، ص٢٦٣، سطر١٢ وغيرها.

٣١- من الأخطاء الإملائية قوله في ص٦٨، سطر١٣:

«بما الصقت الباء في قوله "بسم الله" ؟» والصواب أن يقال: "بمَ" أي بطرح ألف "ما" الاستفهامية؛ لأنه دخل عليها حرف جر. ومنها: حذفه "واو" عمرو في حال استعماله مرفوعًا أو مخفوضًا. انظر ص١١٥، سطر٧.

وإثباته "واو" عمرو مع أنَّ الكلمة منصوبة، انظر ص١١٥، سطر ١٢, ١٥، ص١١٧، سطر٢، ٥.

وإثباته "واو" عمرو وهو منصوب فيه نظر؛ قال السيد الهاشمي: «وتزاد (أي الواو) في الطرف في اسم (عمرو) بشرط أن يكون علمًا لم يضف لضمير، ولم يقع في قافية، ولم يصغَّر، ولا محلًّى بأل، ولا منسوبًا، ولا منصوبًا منونًا». السيد أحمد الهاشمي، **المفرد العلم في رسم القلم**، ط٢٢ (مصر: المكتبة التجارية الكبرى، بلا تاريخ)، ص١٥٨.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم .
- الأحوص، عبدالله بن محمد الأنصاري، (ت١٠٥هـ) : ديوانه ، جمع وتحقيق عادل سليمان جمال ٠- القاهرة: الهيئة العامة للتأليف والترجمة، ١٩٧٠م .
- الأزهري، زيد الدين خالد بن عبدالله ابن أبي بكر (ت ٩٠٥هـ) : شرح التصريح ٠- ط٠٢- القاهرة: المطبعة الأزهريَّة، ١٣٢٥هـ .
- أبو الأسود الدؤلي، ظالم بن عمرو (ت ٦٩هـ) : ديوانه ، تحقيق الشيخ محمد حسن آل ياسين ٠- بغداد: مكتبة النهضة، ١٩٦٤م .
- امرؤ القيس بن حجر بن الحارث الكندي (ت نحو ٨٠ ق .هـ): ديوانه ، تحقيق حسن السندوبي ٠- ط٧ ٠- بيروت : المكتبة الثقافية، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.
- الأنباري، كمال الدين أبو البركات عبدالرحمن بن محمد (ت ٥٧٧هـ): أسرار العربية ، تحقيق محمد بهجة البيطار، (د. ت)، (د.ن) .
- جرير بن عطية اليربوعي (ت١١٠هـ): ديوانه ، شرح محمد إسماعيل عبدالله الصاوي ٠- بيروت: دار مكتبة الحياة، (د.ت).
- حدَّاد، حنَّا جميل :معجم شواهد النحو الشعرية ٠- ط٠١- الرياض: دار العلوم للطباعة والنشر، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م .
- ابن درستويه، عبدالله بن جعفر (ت ٣٤٧هـ) : كتاب الكتّاب ، تحقيق إبراهيم السامرّائي وعبدالحسين الفتلي ٠- ط٠٦- الكويت : دار الكتب الثقافية، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م.
- الزجَّاجي، أبو القاسم عبدالرحمن ابن إسحاق (ت ٣٣٧هـ) : الجمل في النحو ، تحقيق علي توفيق الحمد ٠- ط٠١- بيروت : مؤسسة الرسالة، ١٩٨٤م.
شرح جمل الزجاجي المنسوب إلى ابن هشام ، تحقيق علي محسن عيسى مال الله ٠- بيروت : عالم الكتب، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.
- سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (ت ١٨٠هـ): الكتاب ٠- ط٠١- القاهرة : المطبعة الكبرى الأميريَّة (بولاق)، ١٣١٦هـ .
- الطبري، أبوجعفر محمد بن جرير ابن يزيد (ت ٣١٠هـ) : تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن) ٠- بيروت : دار الفكر، ١٩٨٨م.
- ابن عقيل، بهاء الدين عبدالله بن عبد الرحمن المصري (ت ٧٦٩هـ) : شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد ٠- ط٠١٣- القاهرة، (بلا تاريخ) .
- فودة، علي : شرح جمل الزجاجي المنسوب إلى ابن هشام الأنصاري، مستلة من مجلّة معهد المخطوطات العربية ، المجلّد الثاني والثلاثون، الجزء الثاني، ١٤٠٨هـ-١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م .
- ابن هشام الأنصاري : آثاره ومذهبه النحوي ، الرياض، عمادة شئون المكتبات بجامعة الملك سعود،١٤٠٦هـ/ ١٩٨٥م.
- المبرّد، أبو العباس محمد بن يزيد (ت٢٨٥هـ) : المقتضب ، تحقيق محمد عبدالخالق عضيمة ٠- القاهرة : دار التحرير للطباعة والنشر، ١٣٨٥هـ - ١٣٨٨هـ .
- مجمع اللغة العربية : المعجم الوسيط ، مراجعة عبدالوهاب السيد عوض الله، ومحمد عبدالعزيز القلماوي ٠- ط٣ ٠- مصر : دار عمران، مطابع الأوفست، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.
- النابغة الذبياني زياد بن معاوية (ت نحو ١٨ق .هـ) : ديوانه ، صنعة ابن السكيت ، تحقيق شكري فيصل ٠- بيروت : ١٩٦٨م .
- الهاشمي، السيِّد أحمد : المفرد العلم في رسم القلم ٠- ط٢٢ ٠- مصر : المكتبة التجارية الكبرى، (د.ت) .



قيام الدولة السعودية العربية

لعبدالكريم الغرايبة

عبدالله بن ناصر الحديب

الخرج

المملكة العربية السعودية

الغرايبة، عبدالكريم / قيام الدولة السعودية .- القاهرة : المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم .- جامعة الدول العربية، ١٩٧٤ ، ١١١ص.

تمهيد

يتألف الكتاب من [illegible] عشرة ومئة صفحة ذات القطع المتوسط، والكتاب صادر عن المنظمة العربية للت[illegible] والثقافة والعلوم التابعة لجامعة الدول العربية «قسم البحوث والدراسات التاريخ[illegible] الجغرافية»، وقد طبع الكتاب بمطبعة الجبلاوي(٠) - مصر، ١٩٧٤م.

قسم المؤلف كتابه إلى فصول على النحو التالي:

الفصل الأول : مقدمة مؤلفه في ثماني صفحات.

الفصل الثاني : تحدث فيه المؤلف عن «البلاد والشعب» في اثنتين وعشرين صفحة.

الفصل الثالث: أفرده المؤلف للحديث عن دعوة الشيخ محمد ابن عبدالوهاب في ست عشرة صفحة.

الفصل الرابع : تحدث فيه عن «نشوء الإمارة وتوحيد نجد» في ست عشرة صفحة أيضًا .

الفصل الخامس: تحدث فيه المؤلف عن «التوسع في الجزيرة العربية» في سبع عشرة صفحة.

الفصل الأول : المقدمة .

استهل المؤلف مقدمته بالحديث عن قيام الدولة السعودية فقال: «هل المقصود بهذه الدولة المملكة العربية السعودية حالياً أم دولة سعودية أقدم» (١) ثم تابع المؤلف الحديث بإيجاز عن الدولة السعودية الأولى، ومكان قيامها، ونهايتها، على يد الحملات المصرية العثمانية التي قضت عليها، ثم تحدث عن الدولة السعودية الثانية، وكيف تميزت سياستها بالحنكة إلا أن الخلاف بين الأبناء أدى إلى تقويض دعائم هذه الدولة ثم تحدث أيضًا بإيجاز - في هذه المقدمة - عن دور الملك عبدالعزيز(٢) في إعادة ملك آبائه، ومن ثم عرض لعلاقة الحكام السعوديين بالعثمانيين والنفوذ البريطاني في الخليج.

الفصل الثاني : البلاد والشعب .

بدأ المؤلف هذا الفصل بتحديد تاريخ بروز اسم «المملكة العربية السعودية» إلى الوجود لأول مرة (٣) وعلاقة هذه الدول بجيرانها من الأقطار، ثم عرض للحديث عن الحدود والخلاف حول مناطق الحدود بين المملكة والدول المتجاورة لها بداية مع الكويت، ثم العراق، ثم الأردن، ثم خلاف المملكة واليمن حول السيادة على عسير ونجران، ثم الخلاف حول واحة البريمي، إلا أن جميع هذه الخلافات انتهت بالاتفاق بين المملكة وهذه الدول ما عدا قضية واحدة وهي «البريمي» فبقيت معلقة حسب ما ذكر المؤلف.

ثم تحدث المؤلف عن المساحة، حيث قال «تحتل المملكة مساحة تساوي ثلاث أرباع الجزيرة العربية أوثلثي آسيا الغربية، أوخمس العالم العربي كله» (٤) ثم تحدث عن طبيعة السكان إلا أن المؤلف لم يعط تحديداً دقيقًا لعدد السكان فجعلهم بين الملايين الخمسة والعشرة - ورغم أن المؤلف لم يؤكد هذا الرقم - إلا أن هذا العدد مبالغ فيه إذ ما قورن بالظروف الاقتصادية والاجتماعية آنذاك، هذا بالإضافة إلى طبيعة البيئة الصحراوية لأراضي الجزيرة العربية التي لا تسمح لهذا العدد الكبير البقاء فيها، فضلاً عن التعايش والسكنى في أراضيها.

ثم تحدث عن التضاريس، وقد أجاد المؤلف في وصفه للتضاريس بشكل موجز جيد، فذكر التضاريس

بداية بالسهل الساحلي الغربي وهضبة نجد وجبال السراة والحجاز وعسير والصمان ونجد وصولاً إلى السواحل التي تحيط بالمملكة وما لها من أهمية في تسهيل الاتصال العالمي، وإن هذه السواحل تعد ثروة اقتصادية . كما تحدث المؤلف عن المناخ معتمداً على وصف «ابن بشر» له .

الفصل الثالث : دعوة الشيخ/محمد بن عبدالوهاب .

مهد المؤلف لهذا الفصل بالحديث عن الشيخ ابن تيمية ووقوفه في وجه الحكام الجائرين، وتحدث عن الأمور التي دعا إليها ابن تيمية ومنها:

عدم شد الرحال لزيارة قبور الصالحين؛ لأن ذلك مخالف للدين. ووقوف ابن تيمية في وجه الغزو المغولي ومحاولة صد ذلك العدوان الشرس الموجه إلى العالم الإسلامي، ثم تحدث عن نسب الشيخ ابن تيمية وتاريخ مولده وتاريخ وفاته، ولعل غرض المؤلف من تمهيد هذا الفصل بالحديث عن دعوة الشيخ ابن تيمية هو المقارنة بين تلك الدعوة ودعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب.

ثم تحدث المؤلف بقوله: إن دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب كانت أكثر بساطة ووضوحًا من دعوة ابن تيمية، وأصبحت أكبر أهمية؛ ثم تطرق المؤلف لمولد الشيخ محمد بن عبدالوهاب ونشأته وتعليمه ورحلاته في طلب العلم وتعلمه على يد علماء عصره. كما تحدث عن دور الشيخ محمد بن عبدالوهاب في العيينة، ثم الدرعية مركز إشعاع للدعوة داخل الجزيرة العربية. كما أصبحت مقراً لأتباع الشيخ وأنصاره، وفي نهاية هذا الفصل وضع المؤلف رسمًا توضيحيّاً لنسب الشيخ محمد بن عبدالوهاب (٥)، يرحمه الله.

الفصل الرابع : نشوء الإمارة السعودية وتوحيد نجد .

استهل المؤلف حديثه عن كيفية نشوء الإمارة السعودية، وما كانت تمتاز به ثم انتقل للحديث عن الدولة السعودية الأولى - أو ما يحلو له تسميتها بالدولة القديمة - منذ مجيء الشيخ محمد بن عبدالوهاب إلى الدرعية، وما تلا ذلك من أحداث إلى أن استسلم الإمام الشجاع عبدالله بن سعود، وما تبع ذلك من سقوط الدرعية بيد المصريين الذين قاموا بتخريبها، وتحدث المؤلف عن دور الإمام عبدالعزيز بن محمد وشجاعته. كما تحدث أيضًا عن توحيد نجد وتوسع الدولة السعودية الأولى فضمت إليها الوشم، والمحمل، وسدير، وجلاجل، والمجمعة، والروضة، والقصيم، وجبل شمر، والخرج، والحريق، والأفلاج، ووادي الدواسر من المنطقة الوسطى.

الفصل الخامس : التوسع في الجزيرة العربية .

بعد أن تناول المؤلف في آخر صفحات الفصل الرابع التوسع السعودي في وسط نجد وجنوبها وشمالها، شرع في بداية الفصل الخامس بالحديث عن التوسع في شرق الجزيرة العربية نظرًا لأهمية تلك المنطقة، وكونها منطقة تصارع عدد من الحركات والدعوات (٦). كما أن أهل السنة يشكلون أقلية فيها لذلك تعد المنطقة - كما يقول المؤلف - مثالية لنشر الدعوة الجديدة.

ثم تحدث عن دولة بني أجود التي دام حكمها في الأحساء أكثر من قرن من الزمان، وجاء بعد ذلك بنو خالد وأسسوا لأنفسهم إمارة عرفت باسمهم، ولعل ما أورده المؤلف يعد مقدمة وتمهيداً للفتح السعودي للأحساء.

ثم تحدث عن توسع الدولة السعودية الأولى في غرب الجزيرة العربية، وضم هذه الدولة للحجاز بما فيها مكة والمدينة، ثم دخول منطقة عسير تحت حكم الدولة السعودية الأولى، واستعداد هذه المنطقة وتقبلها لدعوة الشيخ محمد ابن عبدالوهاب وللدولة السعودية.

الفصل السادس

وهو خاتمة الكتاب؛ تحدث فيه المؤلف عن تغاضي الدولة العثمانية عن استقلال بعض المناطق تحت قيادة الأمراء والزعماء، فقد رضي السلطان العثماني بانفصال فخر الدين المعنى وسمح للمماليك بالحكم في مصر والعراق (٧)، وعفا عن داود باشا بعد استسلامه، ولم يعدمه. كذلك سكت السلطان العثماني عن قيام «محمد على» بالاستقلال في مصر، ومن ثم أخذ المؤلف يطرح التساؤلات التي تحث القارئ على البحث والاستقصاء للوصول إلى الحقائق، ومن أمثلة تلك التساؤلات:

«لماذا يحرص السلطان العثماني على القضاء على الدولة السعودية؟ وعلى الدرعية؟!.

ولماذا لم يعف عن الأمير الشجاع عبدالله بن سعود بل أعدمه؟!.

ولماذا يسعى السلطان العثماني أن لا تقوم للدولة السعودية قائمة ؟!.

فهل تشكل الدولة السعودية خطراً أكثر من الدول والزعماء الذين انفصلوا عن الدولة العثمانية؟ فرغم ما تشكله مصر من غنى، وأنها أهم ولاية إلا أن السلطان العثماني لم يسع للقضاء على "محمد علي" وإعادة مصر ولاية تابعة للدولة العثمانية؛ بل سعى جاهداً للقضاء علي الدولة السعودية، وهي تعيش في صحراء قاحلة وفقر في مواردها الاقتصادية وليس بها خطوط تجارة !!!» .

ثم يستأنف المؤلف حديثه قائلاً: إن الدولة السعودية شكلت ثلاثة تهديدات خطيرة على الدولة العثمانية ويمكن تلخيصها في النقاط التالية:

١- أن الدولة السعودية عندما ضمت الحجاز أدى ذلك لانتزاع لقب خادم الحرمين من السلطان العثماني.

٢- أن الدولة السعودية حولت طرق بعض القوافل الهامة - ومنها قافلة الحج - حيث أصبحت تمر بنجد، وشكلت هذه الدولة تهديداً للمجتمع والعالم الإسلامي الذي كان السلطان كبير سدنته.

٣- أن الأمير السعودي أصبح أول حاكم يرفض الاعتراف بأن السلطان العثماني خليفة، حيث كان السلطان العثماني آنذاك - رغم ضعف دولته - شديد الحرص على الألقاب التي تكسبه الصفة المعنوية.

وبالاضافة للأسباب التي ذكرها المؤلف ؛ فإن هناك سبباً مهماً ينبغي أن نشير إليه، وهو خوف الدولة العثمانية من الدعوة السلفية التي تبنتها خوف الدولة السعودية حيث نادت الدعوة إلى التوحيد، وإخلاص العبادة لله تعالى في مقابل أن الد ولة العثمانية ابتعدت عن المنهج القويم، وما انتشار البدع والخرافات وتفشيها في ولاياتها إلا خير شاهد على ذلك. كما أن الدولة العثمانية كانت لا تخشى الزعماء الآخرين ولا تتغاضي عنهم إلا لأن هؤلاء الزعماء كانت تحكمهم وتسيرهم أطماع وأهداف دنيوية يسعون لنيلها. في حين أن الدولة السعودية ممثلة بقياداتها كانت تسعى لنشر الدعوة الإصلاحية التي سوف تنير للكثيرين آنذاك طريق الحق والصراط المستقيم.

ثم نعود إلى المؤلف الذي يواصل حديثه قائلاً «إن الخطأ الأكبر الذي ارتكبه آل سعود احتلال الحجاز ولكنهم أجبروا عليه نظراً لتحدي أشراف مكة لهم ومنعهم لرعايا آل سعود من زيارة الحرمين والعمرة والحج»(٨) .

ومن وجهة نظري أرى أن فتح الحجاز علي يد قادة الدولة السعودية الأولى سنة ١٢١٨هـ (١٨٠٣م) ليس خطأ كما أشار المؤلف - وذلك لعدة أسباب :

١- أن أشراف مكة الذين كانوا يحكمون الحجاز أعلنوا العداء للدولة السعودية الأولى؛ بل وكفروا الشيخ محمد بن عبدالوهاب.

٢- أن أشراف الحجاز منعوا أتباع السعودية من أداء فريضة الحج لعدة سنوات.

٣- تحول عداء الأشراف نظرياً إلى تطبيق عملي عندما وجه الشريف غالب حملة ضد الدولة السعودية الأولى سنة ١٢٠٥هـ.

٤- أن الدولة السعودية الأولى أصبحت دولة قوية، فقد وحدت منطقة نجد مع منطقة شرقي الجزيرة العربية ومنطقة عسير، ولهذا كان من الطبيعي أن تتجه أنظار تلك الدولة إلى الحجاز المعادية لها.

٥- سعي الدولة السعودية الأولى إلى نشر الدعوة الإصلاحية في منطقة الحجاز.

ثم ذكر المؤلف ما حدث بين الدولة السعودية والأشراف، ثم عرج للحديث عن دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، وما نادى به من التوحيد والعودة إلى أصول الإسلام الصحيحة، وذكر أن الأمر الذي أثار الناس على الشيخ أنه نادى بترك القبور، ويتابع المؤلف حديثه قائلاً : «والدعوة الخطيرة التي نادى بها الشيخ هي ترك زيارة القبور، ثم يضيف «ومنع الشيخ الناس من اتخاذ التمائم والتبرك بالشجر والحجروالذبح لغير الله والاستعاذة بغير الله والعبادة عند القبور» (٩).

وتحدث المؤلف عن دعوة الشيخ بأنها انتشرت في بداية الأمر في منطقة بعيدة ونائية عن الرقابة، وأن الشيخ كان معروفًا لدى علماء المسلمين في الحجاز والعراق، وأورد المؤلف ما قاله شيخ بالمدينة يدعى محمد ابن سليمان الكردي واصفًا الشيخ محمد بن عبدالوهاب: «بأنه شاذ على السواد الأعظم» (١٠).

وهذه المقولة تعد دليل إدانة لقائلها، وليست إدانة للشيخ محمد بن عبدالوهاب، حيث كان أكثر العلماء آنذاك يبحثون عن مصالحهم الدنيوية ولا يفكرون إلا فيما يرضي أهواء ورغبات الأمراء والحكام، وإن خالف ذلك مبادئ الدين الإسلامي، ومما ينبغي أن نشير إليه أن الناس انغمسوا في ضلال وظلام ما بعده ظلام، فبعد أن كان الإنسان يسجد للواحد الديان أصبح يسجد للأحجار والأوثان، فقام الشيخ محمد بن عبدالوهاب بما لم يقم به غيره من العلماء من الدعوة إلى التوحيد والعودة إلى أصول هذا الدين.

ثم يتابع المؤلف حديثه قائلاً :«إلا أن النصر دفع آل سعود في طريق التطرف فرفضوا التعاون والتهاون والتهادن مع الأكثرية، وصدموا ضمير عامة المسلمين بما استعملوه من عنف وبدت الحركة كأنما هي للاحتجاج والإثارة لا للهداية والتقويم» (١١).

والرد على هذه المقولة: أن آل سعود كانوا يسعون إلى إقامة الشرع خاصة بعد استنكاف البعض عن الاستجابة لدعوة الشيخ الإصلاحية التي دعت إلى توحيد الله وإفراده بالعبادة . كما أن آل سعود قاموا بنشر هذه الدعوة بعد أن أصبحت الجزيرة تغط في الجهل والضلال أن آل سعود عملوا على نشر الإسلام وتجديد الدعوة إليه ولم يأتوا بما يخالفه.

كما يؤخذ على المؤلف مقولته: «أن آل سعود صدموا عامة المسلمين»ولكن الرد على هذه المقولة: أنهم لم يصدموا ضمير عامة المسلمين - كما زعم المؤلف - بل أناروا لهم سبيل الهداية بما آتاهم الله من قوة وتمكين، وأبانوا لهم الطريق القويم بما جاءوا به من الحق المبين .

ويؤخذ على المؤلف أيضًا قوله: «بدت الحركة كأنما هي للاحتجاج والإثارة لا للهداية والتقويم» فماذا يقصد المؤلف بهذا الكلام؟ أيقصد أن هدف الدولة السعودية الأولى من مناصرة الدعوة السلفية هو مجرد احتجاج وإثارة ضد الدولة العثمانية التي كانت تمثل الدولة الإسلامية آنذاك؟!.

والرد على هذه المقولة: أن آل سعود ناصروا الدعوة السلفية أولاً وقبل كل شيء لأن هذه الدعوة قامت على ركائز وأسس صحيحة وهي كتاب الله وسنة نبيه ﷺ ،

ثانيًا: أن آل سعود رغبوا في تحرير الناس من ربقة ورق العبودية لغير الله، وانتشال الناس من الظلم والضلال والضياع الذي كانوا يتخبطون فيه وإرشادهم إلى عبادة الله سبحانه وإفراده بالعبادة دون سواه.

ثم يقول المؤلف واصفًا كيف انتشرت الدعوة في عهد الإمام عبدالعزيزبن محمد بن سعود، ومعتمداً على بن سند، حيث قال: «فأخاف السبل وسلاكها بالقبائل والجنود مبيحًا إراقة دماء المسلمين واسمًا لهم بسمات المشركين فاستولوا على نجد زاعمين أنهم المسلمين الهداة» (١٢).

لكن المعروف عن ابن سند كما يذكر المؤلف أنه كان معاديًا للدولة السعودية، حيث تتلمذ على يد فيروز الأحسائي؛ وكان هذا الأخير قد هرب من الأحساء فاراً من آل سعود ولجأ إلى البصرة مما يؤكد على عداء «ابن سند» وحقده على الدولة السعودية ورجالاتها لاسيما، وقد تشرب ذلك العداء على يد معلمه فيروز الأحسائي، حيث نلاحظ من خلال مقولة «ابن سند» اختياره للألفاظ القاسية في الوصف والتعبير حين يقول «مبيحًا إراقة دماء المسلمين» «فاستولوا على نجد» «زاعمين أنهم المسلمين الهداة» فماذا يقصد ابن سند من ألفاظه القاسية تلك؟!! ثم ما فائدة إيراد المؤلف لتلك المقولة!!.

ثم أورد المؤلف شيئًا مما قاله ابن سند عن الدولة السعودية وأنصارها، حيث يقول: «إنهم استهووا كثيراً من الناس، وانتقلت الأعراب من التوحش إلى الإنسانية وانعدم الشر وأحبهم سائر الأمم» (١٣) .

وفي مقولة «ابن سند» هذه تأكيد لنجاح الدولة السعودية الأولى في نشر الدعوة الإصلاحية، وإن كان ابن سند لم يقصد بمقولته هذه أي مدح أو ثناء على الدولة السعودية أو الدعوة السلفية.

ثم أورد المؤلف أيضًا ما قاله «الحيدري» : «وغالوا في تكفير من خالفهم ولو كان من أهل السنة والجماعة، وتشددوا في بعض الأحكام التي يأمر الشرع بتشديدها وحملوا أكثر الأمور على ظاهرها» (١٤).

وهذا الكلام يعد مجانبة للحق والصواب فحكام الدولة السعودية الأولى كانوا يطبقون

مبادئ الدعوة الإصلاحية استناداً إلى الكتاب والسنة بدون مغالاة أو تشدد.

وفي الوقت الذي يغالط فيه البعض نفسه، ويحاول تزوير الحقيقة وتحويرها كابن سند والحيدري نجد من يقول الحق دون تزييف ومثال ذلك ما قاله «الجبرتي» : «إن الأعراب دخلوا في العقيدة التي تدعوا إلى كتاب الله وترك البدع» (١٥).

ثم يقول المؤلف : «بأن آل سعود نجحوا في نقل العرب من التوحش إلى المدنية، وهذا الأمر لم يحققه أي نظام في التاريخ، واستتب الأمن والنظام والوحدة في بلاد لم تعرف هذه الأمور من قبل، وكان هذا النجاح مخيفًا للدولة العثمانية التي فشلت في تحقيق الأمن والنظام» (١٦).

وفيما قاله المؤلف: بأن نجاح الدعوة مقصور على تحول البدو من التوحش إلى المدنية يمكن أن يعد كأحد نتائج الدعوة التي نادى بها الشيخ محمد ابن عبدالوهاب. كما أن نجاح الدعوة يتمثل في أمور عديدة في طليعتها أن الدعوة نجحت في القضاء على والبدع والخرافات، وأنها أضاءت الطريق للناس كي يعبدوا الله على بصيرة وألا يشركوا معه أحداً في عبادته. كما أن مقولة المؤلف «بأن الدعوة نجحت في تحويل البدو من التوحش إلى المدنية» تأكيد لما سبق أن قاله «ابن سند».

ويستأنف المؤلف حديثه قائلاً : «وهكذا انتهت المأساة وقضي على أنجح حركة توحيدية في الجزيرة العربية بعد الإسلام»(١٧).

وهذا الكلام ليس صحيحًا فربما يقصد المؤلف أن الدولة السعودية الأولى انتهت وقضي عليها عن طريق حملات حاكم مصر«محمد علي» ولكن ما ينبغي أن نشير إليه هو أن دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب لم يقض عليها، والدليل ما حققته هذه الدعوة من أصداء داخل الجزيرة العربية وخارجها، وخير شاهد على نجاحها أن «المملكة العربية السعودية» لا تزال تسير على خطى دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب مسترشدة ومقتدية بكتاب الله العظيم وسنة الرسول عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم .

الهوامش

* احتوى الكتاب على آفة كل مطبوعة وهي الأخطاء الطباعية التي وإن كانت تحرّف معنى الكلمة إلا أن الكاتب لا يتحمل تبعتها لأنها تدخل في صميم العمل الفني.

(١) صفحة ٥ من الكتاب.

(٢) وصف المؤلف «عبدالعزيز ابن عبدالرحمن» بعد محاولته الأولى لفتح الرياض سنة ١٣١٨هـ وصفًا لا ينم عن معرفة بالدور الذي قام به، وكان الأجدر أن يصفه بالشجاع والبطل، ومع أن محاولة عبدالعزيز الأولى لم يكتب لها النجاح إلا أن محاولته الثانية بعد سنة من المحاولة الأولى أعادت له الرياض عاصمة دولته.

(٣) صفحة ١٣ .

(٤) صفحة ١٦ .

(٥) صفحة ٥٠.

(٦) التي يصفها المؤلف بأنها حركات متطرفة كالخوارج والقرامطة وغيرها من الحركات.

(٧) صفحة ٨٧.

(٨) صفحة ٨٩.

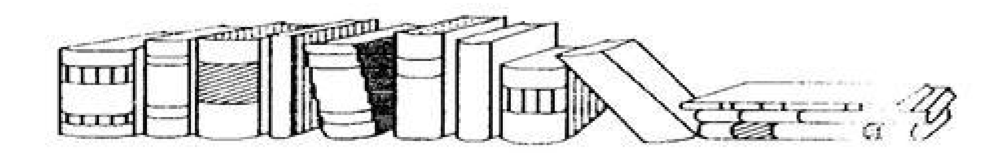
(٩) صفحة ٩٠.

(١٠، ١١) صفحة ٩١.

(١٢، ١٣، ١٤، ١٥) صفحة٩١.

(١٦) صفحة ٩٢.

(١٧) صفحة ٩٣.



التخطيط لمكتبات المدارس الابتدائية في دولة البحرين

رسالة ماجستير لكاظمية منصور ناصر

ناصر ، كاظمية منصور / التخطيط لمكتبات المدارس الابتدائية في دولة البحرين .- رسالة [ماجستير] .- إشراف هاشم عبده هاشم .- جدة : جامعة الملك عبدالعزيز ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، قسم المكتبات والمعلومات ، ١٩٩٠/١٤١٠هـ .- ٣٥٥ص.

تتناول الدراسة مكتبات المدارس الابتدائية بدولة البحرين بهدف التعرف إلى ما يأتي :

١ - واقع المكتبات المدرسية في البحرين ، ومدى مطابقتها للمعايير الدولية، وإسهامها في إثراء العملية التعليمية.

٢ - التعرف إلى المشكلات التي تواجه أمناء المكتبات في إدارة مكتباتهم .

٣ - التخطيط لمستقبل المكتبات المدرسية الابتدائية .

وقد استخدم في الدراسة منهج المسح الميداني المعتمد على الاستبيان والمقابلة الشخصية في تجميع البيانات والمعلومات الخاصة بالمكتبات المدرسية الابتدائية ، التي بلغت (٢٠) عشرين مكتبة مدرسية للبنين و (١٥) خمس عشرة مكتبة مدرسية للبنات . والمدعّمة بالزيارة الميدانية للتعرف إلى وضعها ومستواها .

تشتمل هذه الرسالة على ثلاثة أبواب رئيسة مرتبة على النحو التالي :

الباب الأول : التعليم في البحرين ، مفهوم المكتبة المدرسية، مباني مدارس العينة :. ويتكون من ثلاثة فصول مرتبة على النحو التالي :

الفصل الأول - التعليم في دولة البحرين : يتناول هذا الفصل نشأة التعليم وتطوره في البحرين في المرحلة القديمة والحديثة . كما يتناول سياسات التعليم وأهدافه ومناهجه ، إضافة إلى الأوضاع التعليمية لمراحل التعليم . كما يعرض بالتفصيل المرحلة الابتدائية أهدافها ، وواقع التعليم فيها ، ومشروع تطور التعليم الابتدائي العام ١٩٨٢/ ١٤٠٢هـ . واستعرض نظام معلم الفصل وسماته وتطبيقه على المدارس الابتدائية .

الفصل الثاني - المكتبة المدرسية وأهميتها التعليمية والتربوية : يتعرض هذا الفصل للأهمية التربوية للمكتبة المدرسية، من حيث ماهيتها وأهدافها والضرورة التعليمية والتربوية للمكتبة المدرسية الابتدائية بوجه الخصوص ، كما يتناول أهداف مكتبة المدرسة الابتدائية ووظائفها التعليمية والتربوية والتثقيفية .

الفصل الثالث - التوزيع الجغرافي لمدارس العينة : يتضمن هذا الفصل معلومات أساسية عن مدارس العينة ، من حيث تاريخ تأسيسها وتوزيعها جغرافيّاً على مناطق البحرين . كما اشتمل على وضع المباني المدرسية ، وعدد الفصول الدراسية ومدى ما يستوعبه الفصل الواحد من التلاميذ ، إضافة إلى عدد التلاميذ والمدرسين البحرينيين والمتعاقدين بمكتبات مدارس العينة .

الباب الثاني : واقع المكتبات المدرسية في دولة البحرين ، ويتكون من أربعة فصول على النحو التالي :

الفصل الرابع - وضع المكتبات المدرسية في دولة البحرين : يشتمل هذا الفصل على دراسة مفصلة لتطور المكتبات المدرسية في دولة البحرين . كما يوضح واقع مباني المكتبات المدرسية بمدارس العينة ، من حيث الموقع، والمساحة، وكذلك الأثاث والتجهيزات بمختلف فئاته ، وعدده ، ونوعيته ، والمادة المصنوع منها ومواصفاتها .

الفصل الخامس - بناء وتنمية المجموعات

وتحليلها وتنظيمها : يتصدى هذا الفصل بالتفصيل إلى بناء مجموعات المكتبة من الناحية الكمية والنوعية ، كما يركز على توزيع الكتب على الموضوعات ، وترتيب تلك الموضوعات حسب تسلسلها النسبي وتغطيتها الموضوعية ، ومدى كفاية المراجع في مكتبات مدارس العينة . إضافة إلى ذلك ؛ فإن هذا الفصل يبحث عن سياسة التزويد المتبعة ومصادره ، وطرق اختيار وشراء مجموعات المكتبة . كما يتناول تنظيم المجموعات من حيث فهرسة وتصنيف كل من الكتب والدوريات والمواد السمعية والبصرية ، إضافة إلى عمليات الاستبعاد والإحلال بالمكتبات .

الفصل السادس – الخدمات والأنشطة : يتناول هذا الفصل خدمات مكتبات مدارس العينة المتمثلة في خدمة الإعارة ، والفئات المسموح لها بالاستعارة ، ومدتها ، وإجراءاتها ، والعقوبات التي تلحق بالمتأخرين في رد المواد المعارة . كما يتناول التدريب على استخدام المكتبة عن طريق حصة المكتبة . إضافة إلى خدمة إرشاد القراء ، من حيث القائمين على الإرشاد ، والأعمال التي يقومون بها ونظام الإرشاد وإحصاءاته ، ويتضمن الفصل كذلك نشاطات جماعة أصدقاء المكتبة والنشاطات المختلفة الأخرى .

الفصل السابع – التمويل والإدارة : يحدد هذا الفصل كمية الميزانية المرصودة لمكتبات المدارس ، وعدد العاملين بالمكتبات ، ومؤهلاتهم ومدى تفرغهم للإشراف على المكتبة ، كما يتضمن مواعيد فتح المكتبة ، ولجنة المكتبة . وفي نهاية هذا الفصل يعرض البحث نتائج الدراسة التي توصلت إليها الباحثة من خلال الدراسة الميدانية لمكتبات المدارس الابتدائية بدولة البحرين في سبع عشرة نقطة يتضح من خلالها مدى ما تعانيه مكتبات المدارس من مشكلات وقصور .

الباب الثالث : التخطيط للمكتبات المدرسية الابتدائية في دولة البحرين ، ويتكون من أربعة فصول على النحو التالي :

الفصل الثامن – التخطيط لإدارة المكتبات المدرسية في دولة البحرين : اشتمل هذا الفصل على أهمية التخطيط للمكتبات المدرسية والإجابة عن التساؤلات التالية : ماذا ، وكيف وأين ، ومن يقوم بعملية التخطيط ؟ كما ركز على أهداف التخطيط للمكتبات المدرسية الشاملة والمتمثلة في الهدف التعليمي والاجتماعي ، وتناول الفصل اقتراح الباحثة بشأن تأسيس إدارة مستقلة للمكتبات المدرسية للنهوض بمستواها ، والمبررات التي تدعو لهذه الاستقلالية ، كما خلص الفصل إلى وضع الهيكل التنظيمي المقترح ، الذي يتكون من رئيس مجلس إدارة المكتبات المدرسية ، ووحدتين رئيستين هما وحدة الشئون الإدارية والمتابعة ، ووحدة الشئون الفنية والخدمات .

الفصل التاسع – تخطيط العمليات الفنية: يتناول هذا الفصل المعايير الدولية السائدة في مجال التخطيط للعمليات الفنية وأسس الاختيار لمجموعات المكتبة وإجراءات الاختيار ومعايير بناء المجموعات من الناحية النوعية والعددية ، واستخلاص شكل جديد يتم بموجبه توزيع الموضوعات على المعرفة الإنسانية الرئيسة وفقًا لنسب تمليها اعتبارات العملية التعليمية في المدرسة الابتدائية بالبحرين . كما يحدد هذا الفصل أشكال وأنواع أنظمة كل من الفهرسة والتصنيف ، وما يتناسب مع ظروف المكتبة المدرسية الابتدائية بصورة قابلة للتطبيق في المكتبات الابتدائية البحرينية .

الفصل العاشر – تخطيط المبنى والأثاث والإدارة : يتضمن هذا الفصل التخطيط لمبنى المكتبة المدرسية الابتدائية ، من حيث موقعها ومساحتها وأثاثها وتجهيزاتها وإدارييها وفقًا للمعايير الدولية العلمية ، مع الأخذ في الحسبان الظروف المحلية لمكتبات المدارس الابتدائية بدولة البحرين . كما يتناول المواصفات المعيارية لسعة المبنى وخصائص الأثاث والتجهيزات من حيث الكمية والنوعية . وكذلك القوى البشرية لإدارة المكتبة المدرسية لرفع مستوى الخدمة فيها .

الفصل الحادي عشر – تخطيط الخدمات والأنشطة : يمثل هذا الفصل ختام الباب الثالث والخاص بالتخطيط للخدمات والأنشطات التي تقدمها المكتبة المدرسية الابتدائية للمستفيدين ، والمتمثلة في خدمة الإعارة وتدريب التلاميذ على استخدام المكتبة إضافة إلى خدمة التوجيه القرائي . وأخيرًا تناول الفصل النشاطات المكتبية التي يمكن لمكتبة المدرسة الابتدائية تقديمها لتلاميذ هذه المرحلة .

تنمية مهارات العاملين في المكتبات ومراكز المعلومات بمصر

رسالة دكتوراه لمحسن السيد العريني

العريني ، محسن السيد حسن / تنمية مهارات العاملين في المكتبات ومراكز المعلومات بمصر : دراسة نظرية وتطبيقية .- رسالة دكتوراه ، إشراف محمد فتحي عبدالهادي .- القاهرة : قسم المكتبات والوثائق بكلية الآداب، جامعة القاهرة، ١٩٩٢م .

تتعقب هذه الدراسة تطور التدريب في مجال المكتبات والمعلومات في مصر، وتعرف بأنواع التدريب وطرقه، والأساليب المستخدمة في التطوير المهني للعاملين في المكتبات ومراكز المعلومات .

وبينما نال التأهيل الأكاديمي في علوم المكتبات والمعلومات الكثير من الاهتمام في عدة دراسات أكاديمية إلا أن التدريب والتطوير المهني للعاملين في المكتبات لم ينل إلا النزر اليسير من الدراسة والبحث والتحليل .

وتمثل الموارد البشرية الدعامة الأولى للاقتصاد القومي، ومن هنا برزت أهمية التدريب بوصفه أحد المداخل الرئيسة لتنمية تلك الموارد .

كما أن التطوير المهني ضروري لاستمرار فاعلية الأداء في مراكز المعلومات، من أجل مسايرة التقدم التقني الذي يتناسب مع دور المعلومات في خطط التنمية الاقتصادية، والاجتماعية في مصر .

ومن أجل هذا تولي الدولة اهتمامًا كبيرًا بتنمية القوى البشرية، كما خصصت جهازًا يتولّى مسئولية التدريب على المستوى القومي - وأصبحت برامج تنظيم وإدارة المكتبات ضمن الخطة التدريبية السنوية للجهاز المركزي للتنظيم والإدارة . كما أصبحت برامج المعلومات قاسمًا مشتركًا في برامج التطوير المهني للعاملين في المكتبات ومراكز المعلومات، وأفردت لها بعض الجهات برامج مكثفة .

وتهتم هذه الدراسة باستعراض نماذج من فرص التطوير المهني المتاحة للعاملين في المكتبات ومراكز المعلومات في مصر، حيث يتوقف على كفاءة العنصر البشري - كفاءة الأداء في اختيار المجموعات وإعدادها الفني، وتقديم الخدمات المرتبطة بها وإدارة كافة النشاطات في المكتبات أو في مراكز المعلومات .

وبالرغم من تنوع مستويات تأهيل العاملين بالمكتبات في المؤسسات التعليمية الأكاديمية وزيادة أعدادهم في السنوات الأخيرة، إلا أن أقسام المكتبات بالجامعات المصرية لا تفي ولا تكفي بوضعها الحالي، وإمكاناتها المادية والبشرية المحدودة أن تلبي الاحتياجات والمتطلبات التي تتناسب وخطط التنمية الاقتصادية والاجتماعية الحالية والمستقبلة .

وقد ظهرت الرغبة في إيجاد صيغ أخرى غير التعليم النظامي، لتوفير الأيدي المدربة والمتخصصة في المكتبات عن طريق التدريب أو التطوير المهني .

وقد تضمن الفصل الأول والثاني الإطار النظري من الدراسة، ويشتمل على تعريفات بمفاهيم التدريب والتطوير المهني، وعرض لنماذج من تجارب بعض الدول المتقدمة والنامية في هذا المجال .

وتمتد المدة الزمنية للدراسة لأربعين عامًا من منتصف القرن العشرين وحتى نهاية عام ١٩٩٠م .

وقد تناولت الدراسة بالتحليل جهود بعض الجهات المتميزة في النشاط التدريبي للعاملين في المكتبات مثل الجهاز المركزي للتنظيم والإدارة وإدارة التدريب بوزارة الثقافة ومركز الأهرام للتنظيم والميكروفيلم والشبكة القومية للمعلومات العلمية والتقنية .

وبينما ينظم الجهاز ووزارة الثقافة برامج تدريبية في تنظيم وإدارة المكتبات، تنظم الشبكة ومركز الأهرام للتنظيم والميكروفيلم برامج متنوعة في مجالات نظم المعلومات، وقواعد البيانات واستخدام الحاسبات والمصغرات الفلمية في المكتبات ومراكز المعلومات .

كما تناولت الدراسة نماذج أخرى من الأنشطة التدريبية لتطوير العاملين في المكتبات ومراكز المعلومات في مصر إلى جانب بعض البرامج التجديدية أو التنشيطية في المكتبات وتقنية المعلومات .

وبصفة عامة، سوف ينظر للتدريب والتطوير في هذه الدراسة على أنهما يتضمنان كل الأنشطة والبرامج التي

تنفذها المكتبة. وإدارة التدريب في مجال المكتبات والمعلومات لتحقيق الأهداف التالية :

١ - تنمية مهارات العاملين الجدد لتمكينهم من أداء الأعمال والمهام المنوطة بهم .

٢ - تنمية مهارات جديدة لدى العاملين الحاليين لتمكينهم من مواجهة التغيرات الحديثة في الأجهزة أو الإجراءات أو الأساليب المستخدمة في المجال .

٣ - تشجيع التطوير الذاتي للعاملين لمشاركتهم في برامج التدريب وأنشطة التعليم المستمر .

وقد اقتصرت الدراسة على التأهيل المهني للعاملين في المكتبات خارج أقسام المكتبات النظامية .

واعتمدت على استخدام الحاسب الإلكتروني في تخزين وتحليل واستخراج البيانات، وفي تصميم قاعدة بيانات التطوير المهني للعاملين في المكتبات ومراكز المعلومات .

وتتكون الرسالة من مقدمة وسبعة فصول، وهي مقسمة على النحو التالي :

تشتمل المقدمة على هدف الدراسة وأهميتها، وذلك من خلال عرض إطار نظري لأنواع وأساليب التدريب والتطوير المهني المستخدمة في تنمية مهارات العاملين في المكتبات ومراكز المعلومات، واستعراض نماذج لتجارب بعض الدول في هذا المجال، ووصف وتحليل أنشطة بعض الجهات المتميزة في النشاط التدريبي، واستجلاء احتياجات العاملين في المكتبات ومراكز المعلومات إلى البرامج التدريبية .

وتتضمن المقدمة أسئلة البحث وحدود الدراسة وأبعادها. وقد اتبعت الدراسة منهج البحث المسحي والتحليلي في آن واحد، واعتمدت على عدد من الاستبيانات وقوائم المراجعة إلى جانب المقابلة الشخصية، والملاحظة عن طريق المعايشة الفعلية لبعض البرامج .

واختتمت المقدمة باستعراض لبعض الدراسات السابقة المختارة والمرتبطة بهذه الدراسة إلى جانب الأطروحات والتقارير وبحوث المؤتمرات .

وتناول **الفصل الأول** الإطار النظري لتنمية مهارات العاملين في المكتبات ومراكز المعلومات، وتم استعراض أنواع التدريب والتطوير المهني والطرق والأساليب التدريبية إلى جانب الأنشطة التدريبية الأخرى، وكيفية اختيار طرق التدريب المناسبة .

واستعرض **الفصل الثاني** نماذج من تجارب بعض الدول في تنمية مهارات العاملين في المكتبات، ودور المنظمات الدولية وبعض الدول في التطوير المهني للعاملين في مجال المكتبات والمعلومات، والعوائق التي تواجه برامج التطوير المهني للعاملين في المكتبات في الدول النامية .

وتعقب **الفصل الثالث** نشأة وتطوير الأنشطة التدريبية لأخصائي المكتبات والمعلومات في مصر، كما تتبع مسارات التدريب في مجال المكتبات والمعلومات منذ بواكيره الأولى حتى الوقت الحاضر .

كما اشتمل على تحليل لجهود بعض الجهات المتميزة في النشاط التدريبي في مصر كالجهاز المركزي، ووزارة الثقافة، والشبكة القومية، ومركز الأهرام للتنظيم والميكروفيلم .

ويتضمن **الفصل الرابع** تحليلاً للبرامج التدريبية في مصر من خلال وصف وتحليل لستين دورة تدريبية متنوعة لجهات مختلفة، وقد تم التحليل وفقًا للعناصر التالية :

المدربون، المستفيدون من التدريب، الموضوعات الدريبية، فترات التدريب، أماكن التدريب وإمكاناته المادية، والتقويم .

وقد خصص **الفصل الخامس** لتناول اتجاهات المستفيدين نحو البرامج التدريبية، وبرامج تنمية المهارات ورأيهم في الواقع وتطلعاتهم للمستقبل، وتحديد الاحتياجات التدريبية من خلال آراء مديري المكتبات والمستفيدين من العاملين .

وبينما تضمن **الفصل السادس** خطة مقترحة لتنمية مهارات العاملين في المكتبات ومراكز المعلومات في مصر، ومسئولية التطوير المهني تجاه هذه الخطة. كما تضمن إنشاء قاعدة بيانات للتطوير المهني للعاملين في المكتبات ومراكز المعلومات في مصر مع عرض لمراحل إنشائها ومخرجاتها .

وتناول **الفصل السابع، الأخير** أهم النتائج التي توصلت إليها الرسالة والتوصيات المهمة وفقًا لعناصر المنهج التحليلي الذي تم استخدامه في فصول الرسالة .

وتنتهي الرسالة بقائمة بالمصادر والمراجع العربية والأجنبية، وعدد من الملاحق. وقد تضمنت الملاحق نماذج من الاستبيانات والاستمارات المستخدمة ونماذج من الجداول والقوائم المستخرجة من قاعدة البيانات .